لُغَويَّات قُرآنيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: لغويات قرآنية

تأليف: الدكتور مازن المبارك

عدد الصفحات: ١١٢ صفحة

قياس الصفحة: ١٧ × ٢٤ سم

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار لا تعني بالضرورة تَبَنّي الأفكار الواردة فيها؛ وهي تُعَبِّر عن آراء أصحابها واجتهاداتهم

حُقُوق الطَّبْع مَحفُوظَة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من:

دار البشائر

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق ـ شارع 29 أيـار ـ جادة كرجية حداد

هـاتـف: 2316668 ـ 2316669

سورية ـ فاكـس 2316196

الموقع: www.daralbashaer.net

البريد الإلكتروني: info@daralbashaer.net

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

لُغَويَّات قُرآنيَّة

د. مازن المبارك

دارُ البَشائِر

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أيها العرب...

أيها المسلمون...

تمسّكوا بالعربيّة، فالتمسّك بها هو:

تمسّكٌ بالوطن.

تمسّكٌ بالوحدة العربيّة.

تمسّكٌ بهُويّة الأمّة.

تمسّكٌ بالثقافة العربيّة.

تمسّكٌ بالقرآن.

تمسّكٌ بالمروءة والقيم الإنسانية النبيلة.

العربيّة منّا هي الأمّ والأب، هي الأخت والأخ.

هي أسرتنا، وهي مجتمعنا.

بها كلّمتنا أمّنا، وبها خاطبنا الله.

قال الله تعالى:

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

«البقرة: ٣٨»

وقال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ «البقرة: ٢»
وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ «ص: ٢٩»

وهل يكون التذكّر والتدبّر واتّباع الهدى إلّا بفهم لغة الكتاب؟!

وإني ما كتبت هذا الكتاب للمختصّين باللغة العربية، ولا للّذين عرفوا الأصول منها وأحاطوا بالفروع، بل قصدت في هذا الكتاب أمورًا منها:

- دعوة العاملين في ميدان اللغة، إلى أن يجعلوا بعض جهودهم تتناول كلمات وردت في القرآن الكريم والنصوص الأدبية القديمة أهمل الكتّاب استعمالها، وهي كثيرة، خفيفة في النطق، لطيفة في اللفظ، يجهل أكثر الناس معانيها، فإذا فُسِّرت وشُرحت معانيها، كانت عونًا للقرّاء على فهم النصوص والآيات القرآنية، وإدراك ما غاب عنهم من معانيها ومقاصدها.

- ودعوة غير المتقنين للّغة، وغيرِ العارفين بأساليب العرب والعربيّة في التعبير، ومن لم يعيشوا مع اللغة الحيّة في نصوص تراثنا الأدبي اللغويّ، إلى أن يكفّوا عن الجرأة على كتاب الله، وعلى تفسير كلماته، وبيان مقاصد آياته، بحسب ما يرونه أو يتمنونه. ليوافق أهواءهم، أو ليتفق مع آراء من يجاملونهم أو يتزلّفون إليهم. وأن يعلم أصحابُ النيّة الحسنة منهم أنهم يفتحون الباب لغيرهم في أن يقول في كتاب الله كما يقولون، وأن يفسّر ويشرح كما يفسّرون ويشرحون... وبذلك يحملون أوزارهم مع أوزارهم، وساء ما يزرون.

* * *

وبعدُ،

فقد قال رسول الله ﷺ، وقد لحن رجل في مجلسه: «أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ» فسمّى الخطأ في الإعراب ضلالًا، أي سمّاه بما يؤدّي إليه من ضلال، وهو ما يُعرف في البيان بتسمية الشيء باعتبار ما سيكون، أي باعتبار ما سيؤول إليه.

وتلقَّف هذه المقولة النبويّة الفيلسوفُ اللغوي الحُجّة، أبو الفتح عثمان بن جنّي فقال في كتابه الخصائص: «إن أكثر مَن ضلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المُثلى إليها، فإنما استهواه واستخفّ حلمَه ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافّة بها»[1]. وكأن ابن جني يستمع اليوم إلى ما تبثّه بعض الفضائيات من تفسيرٍ لبعض آيات الكتاب العزيز، أو تعليقٍ عليها، أو تفسير لبعض ألفاظها، من متحدِّثين ضالِّين فيما يقولون، وليس ضلالهم ولا تضليلهم إلّا لضَعفهم وأحيانًا كثيرةً لجهلهم باللغة، ولجرأتهم على العلم وتقوُّلِهم على كتاب الله ما لم يقله!

وقد حكم عليهم، وعلى أمثالهم، الأئمة والعلماء؛ فقال الإمام مالك: «لا أوتى برجلٍ غيرِ عالمٍ يفسِّر كلام الله إلّا جعلته نكالًا»[2]. وقال مجاهد:

(١) الخصائص ٣/ ٢٤٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٧٩.

«لا يحلّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عارفًا بلغات العرب»[1].

وقال العزّ بن عبد السلام: «تتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة والإعراب»[2].

وماذا يقول هؤلاء الأئمة الأعلام لو سمعوا من يقول في كتاب الله، وفي لغة العرب، ما لم ينزّل به الله سلطانًا، وما لم يعرفه العرب ولم يسمعوا به؟!!

ماذا لو سمعوا مَن يقول إن (البنين) تعني (البناء والأبنية) وإن (النساء) من (النسيء)، وإن (اللهو) هو (الانتقال)؟!!... وماذا كانوا يقولون عن (المثقَّفين) أو (المسؤولين) الذين سمحوا لمثل هذا (العالم) أن يُطلّ من قناتهم ويزيّن شاشتهم ليذيع هذا (العلم) على الناس؟ بل لقد أصبح هذا اللّون من (العلم) يذاع من قنوات عدَّة، وأصبح المفسرون يتنافسون في إظهار (علمهم) ممثّلين على الشاشات أدوار العلماء كما يمثّل الفنّانون أدوار الطلبة المشاغبين في بعض التمثيليّات الهزليّة، وكلّ الفرق بينهم أن الممثِّلين يعرف الناس حقيقتهم، وهم يعرفون حقيقتهم، ويعرفون أنهم يمثّلون، وأما أولئك (العلماء) و(المفسّرون) فيعرفون أنهم يخوضون في آيات كتاب الله، ويظنون أنهم يخدعون السامعين والمشاهدين، وما يخدعون إلّا أنفسهم وإلّا قلّة من جهلة العامّة، بل إن كثيرين من العامّة يلجؤون إلى أهل العلم يسألونهم عن صحّة ما يسمعون.

وعجيب أن تكون هذه الفوضى في عصر يزعم أهله أنهم يحترمون

---

(١) البرهان للزركشي ١/ ٢٩٢.

(٢) نبذ من مقاصد الكتاب العزيز: ٩٧.

الاختصاص! فإذا المهندس مفسّر، ومن لا يعرف اللغة أديب، بل كل حامل قلم كاتب وأديب وناقد، ومن لا يُحسن الكلام مذيع أو مدير ندوة!!

وإذا الشيخ طبيب وكيميائي وفلكيّ!... وهكذا لم تعد للاختصاص حرمة، وأصبح كل من يشاء يتحدث فيما شاء... وتجرّأ الجهلاء على العلم ولبسوا لبوس العلماء، وصار لسان حالهم يقول:

ولمّا رأيت الجهل في الناس فاشيًا تعالمت حتى قيل إني عالم!

ورحم الله من كان يحترم عقول الناس، ويحترم العلم، ويحترم نفسه ويلزم حدّه.

والحق أن أسلوب القرآن يتيح لكل قارئ أن يمتح (يأخذ) ويفهم منه على قدر استعداده وما تتيحه له ثقافته اللغوية وغيرها وقوة إدراكه، وعمق فهمه.

إنه أسلوب يتمتع منه كل قارئ بما يقوى على أخذه واستخلاصه بحسب ما يقوى عليه فكره، سواء أكان فكرًا ضيّقًا محدودًا، أم كان فكرًا واسعًا منطلقًا، إنه الأسلوب الذي يقوى فيه كل قارئ على أن يبلغ الغاية التي يطيقها.

إن العلم أو المعلومات مذكورة أمامنا، فإن لم ندركها، أو إن لم نفهمها، أو إن لم نصل إليها فليس العيب فيها، ولكن في الحُجُب التي لم نستطع أن نرفعها عن عيوننا أو عن عقولنا أو عن قلوبنا. إنها هي هي لم تتغيّر، ولكن القرّاء تغيّروا؛ ففهم كل منهم على قدر ثقافته وثروته اللغوية ومعرفته بأساليب العرب في التعبير عن أفكارهم وأغراضهم، وعلى قدر شفافيته ونفاذ فكره وسموّ روحه وصفاء نفسه وتسليمه لمن يتوجَّه نحوه سبحانه بإيمان وصدق وإخلاص.

وما عرفت كتابًا كالقرآن لا تمرّ بكلمة فيه، ولا تقرأ جملة، ولا تقف

عند آية من آياته، إلّا كانت لك عندها وقفة قد تهتدي فيها إلى ما تمنحك من أسرار بيانها... وقد تمرّ غافلًا عنها، تحجبك عنها حجب من عجز أو نقصٍ في علمك، أو غفلةٍ في فكرك، أو ثِقَل في نفسك، أو كثافة في روحك.

ولعلّ من أول أسباب الفهم لكتاب الله أن تكون ذا ثروة لغوية واسعة، وأن تكون على معرفة بأساليب العرب في التفريق بين ما نسمّيه المترادفات أحيانًا أو بين المفردات التي يجمعها معنى عامّ ثم تختصّ كل منها بما يميّزها من غيرها من أخواتها، وذلك لأن القرآن يضع الكلمة في الموضع الذي لا يمكن لغيرها أن يقع موقعها[1].

ليس علينا أن نغيّر الحقيقة ليفهمها كل الناس، وليس علينا أن نمسخها ليفهمها بعض الناس، ولكن على الناس أنفسهم أن يزيلوا الغشاوة عن أبصارهم وعن بصائرهم، ليدركوا النور، وليتجاوزوا الظاهر إلى ما يدلّ عليه و«اقرأ - بعد ذلك - باسم ربك» وأما الذين يفهمون كما يريدون، ثم يريدون أن يحرّفوا اللغة لتوافق أفهامهم، فهم أبعد الناس عن الهداية، وهم الذين يحرّفون كلام الله... ويحمّلون اللغة العربية ما لا تحمل، ويفسّرون بحسب ما توحيه إليهم أهواؤهم... إنهم يقرؤون ولا يصلون إلى الفكرة التي يريدونها، فيفسّرون اللغة بألفاظها واشتقاقها لتصبح لباسًا لمعانيهم وأفكارهم، وهيهات هيهات، ولقد عرفنا مستشرقين يجمعون بين (الحِداد) و(الحَدّاد) بجامع السّواد في كلّ منهما!! وعرفنا من (يهندس) اللغة ليكون لها الصورة التي يريدها، والشكل الذي يناسب هواه، وكأن الحروف ألوان وأجزاء لكلٍّ منها معناه، مستغلّا أقوال علماء وصفوا من اللغة بعض ظواهرها... فجعل كلامهم

(١) انظر ما سيأتي تحت عنوان: مشى وسارع وفرّ في هذا الكتاب ص٩٠.

قواعد مطّردة غير مدرك أغراضهم، وراح يفسّر اللغة ويتعسّف في استخراج معانٍ تتأبّى اللغة أن تدلّ عليها، لقد عرف العالم قديمًا وحديثًا من ضلّ فهمه. وزاغت بصيرته، وعرف من وقف على الحق ثم أنكره، ومن استيقن الأمر في نفسه وأنكره بلسانه، وذكر ربنا جلَّ جلاله من كانوا يجتهدون ساعين للصدّ عن الهدى، وتحريف الآيات وتغيير معانيها وأغراضها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[سبأ: ٥] وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾[سبأ: ٣٨] ولعن الذين يحرّفون الكلم عن مواضعه كما في سورة النساء (الآية ٤٦) ووصفهم بقسوة القلوب كما في سورة المائدة (الآية ١٣).

إن تفسير الكلمات في النصوص لا تكفي فيها المعاجم التي تعطي عددًا من المعاني للكلمة الواحدة؛ لأن الكلمة في المعجم جامدة، مستقلّة... على حين أنها في النصّ تكون ممتلئة حياةً، ومحمّلةً بإيحاءات وظلال تدلّ عليها القرائن، ويدلّ عليها السياق، ويرشد إليها الموضوع الذي جاءت فيه.

وإن تفسير الأفعال لا يمكن أن يقوم به من لا يعرف الحروف التي تتعدّى بها تلك الأفعال، وهي حروف لها معانٍ، لذلك سمّيت (حروف المعاني) وأطلق عليها اسم (الأدوات). وقد يكون للحرف الواحد عدّة معان، فأيّها يختار المفسِّر؟ وهل يضع المعنى الذي يريده؟! وقد يقلب الحرفُ معنى الفعل الذي يعدّيه كما في (رغب فيه) و(رغب عنه)، وكما في (فزع منه) و(فزع له) و(فزع عليه) و(فزع إليه) فلكل فعل في هذه المواضع معنى مخالف لمعناه في غيره!! لقد أخطأ في تفسير كثير من هذه الأدوات مفسّرون معاصرون، بل لغويّون أيضًا - أعني باحثين لغويين! - فراحوا

يقيسون استعمال حرف مكان حرف في مواضع لا تصحّ، وقد نبّه القدماء من لغويين ونحويين على أن استعمال الأدوات بعضها مكان بعض أو تعاقبها، ليس قياسيًا، ولا يجوز - كما قالوا - أن يكون قياسيًّا؛ لأن ذلك يفسد اللغة! وقالوا إن لكل منها محلًّا لا يصحّ للآخر، وقد غفل عن ذلك بعض العاملين في ميدان اللغة اليوم، وجهله بعضهم فراحوا يقيسون حرفًا على حرف، أو أداة على أداة، أو محلًّا على محلّ، وأدّى ذلك عندهم إلى أحكام عجيبة ترفضها اللغة وأصولها وتنكره أساليبها.

وعرفنا في هذا العصر من يتطاول على كتاب الله مفسّرًا لغته بما لو سمعه العربيّ العارف للغته لأنكره، وأمّا عالم اللغة فما كان ليأبه لما سمع لأنه يسمع جهلًا مطبقًا في العلم وأصوله!! يرى ويسمع مفسّرًا للقرآن، لا يعرف معاني الأدوات! ولا يعرف المادّة اللغوية أو الجذر الذي تعود إليه الكلمة! إنه لشدّة فهمه ووثيق معرفته يعيد (البنين) و(البناء) إلى جذر واحد!! ويعيد (النِّساء) بكسر النون وهو كالنسوة والنسوان إلى المادة التي يعيد إليها (النَّساء) وهو التأخير... ويخلط مادّة بمادّة، ويفسّر كلمة بغير معناها، ويفهم كما يريد.. بل يضع ما يريده ويريد أن يفهمه السامعون من أفكار، ثم يأتي ليفسر النصوص عليها... فيخالف جميع الدلالات الصرفية واللغوية الوضعيّة والنحوية ليستخرج الدلالة المبتكرة المناسبة لرأيه وهواه!!

وأعجب من هذا أنه إذا قرأ القرآن ليفسّره لحن في قراءاته!! وزد على كل ما سمعت أنه (فقيه) يستطيع أن يستخرج ممّا فهم من كتاب الله الأحكام الفقهية التي ينثرها يمينًا وشمالًا ضاربًا عرض الحائط بكل ما سبقه من فتاوى الفقهاء وأحاديث النبي ﷺ!!

وقد نظرت فيما نحن اليوم غارقون فيه - في عالمنا العربي - مما لا يخفى على أحد، ووجدت أن كثيرًا من العاملين حتى المخلصين ضاعت جهودهم لأن الطرق تشعّبت بهم، فباعدت بينهم وانقضت أعمارهم، ولم تقطف الأمة ثمار أعمالهم!

ووجدت فيما نحن بصدده من أمر اللغة وضرورةِ المحافظة عليها ونشرها، وبعثِ الوعي بها ولها، وإحيائها... أننا غارقون في بحار من عاميّات كثيرةٍ تبعدنا عنها... ويبعدنا الجدال حولها عن العمل الجادّ لها.

لقد رأيت أن (القرآن) وهو أكثر الكتب قراءة وتلاوة وسماعًا في البلاد العربية أصبح أقلّها إفهامًا، ورأيت أن معظم القارئين كبارًا وصغارًا، يفهمون أيَّ كتاب يقرؤونه أكثر مما يفهمون القرآن!!

لقد ابتعد معظم القارئين للقرآن عن فهمه لغياب كثير من معاني كلماته، على يُسرها وسهولة نطقها، لأن الناس لم يعودوا يستعملونها، لا في كتاباتهم ولا أحاديثهم... ولو وضعناها - نحن العاملين في اللغة والكاتبين لها - بين أيديهم، لَتداولوها وألِفوها حين تمرّ بهم أو يمرّون بها في كتاب الله.

وهنا ينبغي التنبيه على أمرين اثنين؛ **أولهما**: أن جهودًا كثيرة تبذّل لما يسمَّى «تفصيح العامّي» أو تقريب العامّي من الفصيح، ولم أجد مثل ذلك في تقريب الناس عامّة من لغة كتابهم وإفهام قرآنهم... وهم المأمورون، لا بقراءته فقط بل بتدبّره! وأيّ تدبّر يكون إذا لم يسبقه فهم؟ ومن أين يأتي الفهم والعاملون في حقل اللغة قد ابتعدوا هم أنفسهم عن تلك اللغة في كتاباتهم، ولم يبذلوا جهودهم لنشر المفردات القرآنية ومعانيها على الناس؟ وأين هم من نشر الفصيح المهمَل قبل العامّي المفصّح؟! إن كثيرًا جدًا من الفصيح المهمل سهل اللفظ، لو عرفه الناس لتداولوه، وأكثرهم اليوم يجهلونه، ثم إن هذا الذي

أدعـو إلـى اسـتعماله لا يحتـاج إلـى دراسـات وتعلـيلات وقـرارات كـذلك (المفصَّح)، بل يكفـي فيـه أن ننشـره للنـاس الـذين لا يعرفـون المعـاجم، ولا يعرفون الفهارس اللغوية القرآنية، ولا يحسنون الكشف عنها في الكتب. وليتنا نستعمله وندعوا الكتّاب إلى استعماله ليشيع وينتشر ويصـبح مألوفًـا... وعنـد ذلك يفهم الناس كتاب ربّهم إذا قرؤوه أو سمعوه.

وثانيهما: أن سياسة إعلامية عالمية انتشرت ترمي إلـى إفـراغ الكلمـات العربية والإسلامية من معانيها الأصلية وإلباسها معـاني جديـدة تبعـد ذاكـرة السّامعين عن معانيها الأصيلة الصحيحة.

ولعلّي أفصّل كلًا من الأمرين فيما يأتي:

١- تفصيح العامّي والانشغال به عمّا هو أولى.

٢- إبعاد الناس عامة والمسلمين خاصّة عن بعض معاني لغتهم! وذلك هو اختلاس العلم الذي يؤدي إلى اختلاس ما وراءه!!

* * *

نشر الفصيح وإحياؤه
أم تفصيح العامّي؟!

صنفان من الكلمات أساء الناس إليهما؛ الأول منهما كلمات فصيحة صحيحة، خفيفة على اللسان، سهلة في النطق، زهد بها الكتّاب وقلّ استعمالها، فانصرف عنها الناس غفلةً وإهمالًا، وجهل معناها أكثر الناس، وكادت تكون منسيّةً عند بعضهم، ومجهولة عند الأكثرين، والعجيب أن الذين يقرؤون القرآن يمرّون بها غير آبهين مع أن معناها يكشف معنى الآية التي الكلمة جزء منها، وظهور معناها يكون به البيان والوضوح الذي يتلوه الفهم والتدبّر، وعدم إدراك المعنى هو الذي يجعل القارئ يردّد كلامًا لا يفهم معناه!! كما هو الشأن اليوم عند أكثر القرّاء من عامّة الناس!

أليس أكثر الناس اليوم في بلادنا يقرؤون القرآن كما يقرؤه غير العرب؛ يردّدون كلماته، ويتلون آياته، ويسمعون قراءته وتلاوته وترتيله فتصل ألحانه إلى آذانهم، وتقف معانيه ودلالاته ومراميه خارج أذهانهم وقلوبهم!

وكم نسبة الذين يسمعون القرآن اليوم من العرب، وقد أُنزل إليهم عربيًّا لعلّهم يعقلونه! كم نسبة الذين يعقلونه، ويدركون معانيه، ويتدبّرون آياته من القرّاء والتّالين؟! على حين أن الذين يسمعونه ويطربون كثيرون! ولكنه طرب ترتيل وتلحين، وليس طرب فهمٍ وخشوعِ قلبٍ وخشية نفسٍ!! وهم

لو عقلوا كلّ كلماته، وألفوا سماعها واستعمالها، لكانوا أكثر قربًا من النصّ وأعمق فهمًا وأكثر إدراكًا وتأثرًا.

وأما الصنف الثاني من الكلمات التي أساء إليها الناس، فهي أيضًا كلمات عربية فصيحة حرّفتها ألسن العامّة، وعدّلوا من حركاتها أو حروفها حتى نزعوا عنها سمة الفصاحة، فغرقت في بحار عامّيّاتهم، حتى كاد نسبها إلى أصلها العربي يضيع! مثل كشّ وكمش.

وقد رأيت الكثيرين من العاملين في الميدان اللغوي يُعنَون باستخراج كلمات فصيحة حرّفتها ألسن العامّة فغيّرت نطقها أو عدّلت دلالتها، يريدون أن يعيدوها إلى نسبها العربي ونطقها الصحيح، وهو عمل مشكور، بدأه علماء سابقون، وعرفه تراثنا اللغوي، وأصبحت له كتبه المعروفة كتثقيف اللسان وبحر العوام، وغير ذلك مما موضوعه (تفصيح العامّي) والوقوف على (بقايا الفصاح). وقد كثر ذلك في عصرنا هذا، واشتطّ فيه بعض الباحثين فركبوا متن الشطط والتعسّف، مما شجّع على أن يدخل في ميدانه من ليس من فرسانه! وحسبه أن قوائم (التفصيح) أصبحت تنتشر في الصحف أو المجلّات خالية من التعليل بعيدة عن الدليل! قائمة على الوهم والتخييل!

وعلى كلٍّ فاستخراج الفصيح من كلام العامّة، والتنبيه على صحّته ونسبته إلى أصله الصحيح الفصيح عمل لغويّ مشكور لا غبار عليه، ولكنّي أتساءل أليس في العربية الصحيحة الفصيحة مئات الكلمات التي ندّت عن أقلام الكتّاب وأحاديثهم حتى نُسيت، وهي عربية فصيحة، خفيفة النطق لم تُعدّل ولم تُبدَّل بل تُركت وأُهملت.

هل الاهتمام بتفصيح وتصحيح: كمش وكمّاشة، وخربش، وفشّ

وفوّاشة وكثير جدًّا من أمثالها أولى من تفسير معاني كلمات فصيحة وأكثرها قرآني، يمرّ بها الناس والقارئون، ويسمعونها من القرّاء فلا يفهمون معانيها، حتى أصبح الكثيرون في بلاد العرب يقرؤون القرآن كما تقرؤه العامة في الباكستان وغيرها فلا يفهمون المعنى!! وهم أمة (القرآن) وأمة (اقرأ).

لقد سمعت غير واحدٍ من المتحدِّثين يصفون بعض الناس بأنهم لا خلاق لهم، يريدون لا أخلاق أو لا خُلُق جيدًا لهم!! على حين أن (الخَلاق) هو الحظّ والنَّصيب، وقيل النَّصيب من الخير. ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]. أي نصيب من الخير، وليست بمعنى الأخلاق.

قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩].

فاستمتع: أي تمتّع. والتمتّع هو الحصول على ما يلتذّ به الإنسان مما يلائمه ويسرّه. والألف والسين والتاء في استمتع نفيد المبالغة والتأكيد للمتعة أو للتمتّع.

وبخَلاقهم يعني بنصيبهم أو حظّهم ممّا كان لديهم من قوة وأموال وأولاد، وهي من ملذّات الحياة الدنيا.

إننا إذا فسّرنا ما كان من الكلمات مثل: ران، راغ، ألت، سمد، وَقَب، كند. بخع، مرج، ومريج، يستطيع القارئ فهم الآيات التي جاءت فيها تلك الكلمات مثل:

ران على قلبه: غلب. مثل: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

راغ: حـاد ومـال إليـه سـرًّا. مثـل: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الصافات: ٩١]. ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصافات: ٩٣].

خرص: كذب. مثل: ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

أَلَتَ الشيءَ: نقصه. مثل: ﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الطور: ٢١].

سَمَدَ الرجل: غنَّى ولها، فهو سامد. مثـل: ﴿ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم: ٦١]، أي لاهون غافلون.

عـزّ: غلـب وقـوي. مثـل: ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٣]. ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [يس: ١٤].

وقَبَ الليلُ: حلّ وشمل كلَّ شـيء بظلامـه. مثـل: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق: ٣].

الفَلَق: الصّبح، وهو الذي فَلَـق الظـلام وكشـفه. مثـل: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١].

كَنَد النعمة: جحدها ولم يشكرها، فهو كنود، وهـي كنـود. مثـل: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦].

بخع خصمه: قتله غمًّا وغيظًـا. مثـل: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

العَضْل: المنع والحبس. وعضَلَ المرأةَ: منع زواجها، ومنـه فـي سـورة البقـــرة الآيـــة ٢٣٢: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾.

إلى عشرات من مثل هذه الكلمات التي غابت عن ألسن الناس وأقـلام الكتّاب، وغابت معها معانيها، وهي جديرة بالإحياء والنشر والتداول.

أضف إلى ذلك أمرًا آخر غاب اليوم عن كثيرين ممن يتحدثون ويكتبون ويفسّرون النصوص، وهو أن الفعل الواحد يختلف معناه باختلاف موقعه من الكلام، واختلاف الحرف الذي يتعدّى به، مثل: رغبت في الشيء، ورغبت عن الشيء، ورغبت إلى فلان. ومثل: فزعت من فلان، وفزعت على فلان، وفزعت إلى فلان، وفزعت لفلان.

وكفعل (ضرب) الذي رأينا أمثلته في موضعها من هذا الكتاب[1].

وكفعل (نظر) الذي يأتي للنظر بالعين المبصرة، وللتأمل والبصيرة، والتفكّر والاعتبار، وللتمهّل والانتظار...

قال الزَّبيدي في «تاج العروس»: «استعمال النظر في البصر أكثر استعمالًا عند العامّة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصّة».

تقول: نظرت إلى كذا، أي مددت طرفك إليه، رأيته أو لم تره، ونظرت إليه: رأيته وتدبّرته. ونظرت فيه: تأمّلته. ونظر بينهم: حكم.

وانتظرت: توقّفت وتمهّلت، ومنه في القرآن: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣]. و﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤-١٥].

وقال عمرو بن كلثوم:

أبا هند فلا تعجلْ علينا وأنظِرْنا نُخبّرْك اليقينا

فهي كلّها بمعنى الانتظار وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]. و﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الزخرف: ٦٦]. أي هل ينتظرون.

والنَّظِرة: التأخّر في الأمر، ومنه: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. وهكذا فنظر إلى الشيء: نظر إليه ببصره. ونظر في الشيء:

---

(١) انظر ص٨٠ و٨١.

تفكّر فيه وتأمَّله. ونظر لـه: رثـى لحالـه، ونظـر بيـنهم: حكـم. ونظـر فلانًـا: ارتقبه، ونظر الدَّين: أمهله. والنَّظِرة بكسر الظاء: الانتظار.

هذه الكلمات وأمثالها كثيرة في القـرآن، صـالحة للنشـر والتـداول، وقـد تُركت وغفلنا عنها حتى غابت معانيها عـن أكثـر النـاس، فـإذا اسـتمرّ هجرهـا نُسيت واستبهمت على القارئ!! وهي كذلك اليوم عند الكثيرين من القرّاء!!

إن الاستمرار في تفصيح العامّي، بحجَّة رفع الحرج عـن الكتّـاب، وإن هجر الفصيح المَنسيّ، سيؤديان إلى انزيـاحٍ لغـويّ يجعـل الأجيـال القادمـة كأجيال الغربيّين الذين لا يفهمون ما قيل وما كتب بلغتهم قبل قرن أو قرنين من الزمان! وبذلك تنفصل الأجيال عن سلفها وعن تراثهـا، وهـو أغلـى مـا يتمنّاه الأعداء.

أما الأمر الثاني، وهو إبعاد الناس عامة والعـرب والمسـلمين خاصّـة عـن معاني بعض الكلمات بتحريفها وتشويه معانيها فسأجعله مندرجًا في موضـوع أوسع منه، وهو محاولة إبعاد الناس أو فـكّ ارتبـاط المسـلمين بالإسـلام، لأن اللغة العربية هي لغة القرآن، وهي الجسر الموصل إلى حقيقة الإسلام.

* * *

فكّ ارتباط المسلمين بالإسلام

«كلمة أخيرة لمن يريد أن يأتي الله بقلب سليم، ولمن ألقى السمع وهو شهيد»

أيها القارئ! لا تُكلَّف إلاّ نفسك، وحرِّض الناس على القراءة والتدبّر، والله المستعان

فك ارتباط المسلمين بالإسلام هو الغرض الذي يسعى إلى تحقيقه أعداء الإسلام منذ زمان بعيد؛ فقد عرف أعداء الإسلام منذ انتهت الحروب الصليبيّة أن تنصير المسلمين غير ممكن، وقد أخفقت تجاربهم في كل البلاد التي حاولوا ذلك فيها، وكان نجاحهم القليل في بعض الدول الأفريقيّة لا يعادل ما دفعوه من أموال وما قاموا به من جهود!

وأدركوا أن الاحتلال العسكري يُقاوَم بردّة فعل قويّة، ويفتح جبهات العداوة الكثيرة، ويكلّف أموالًا طائلة... فراح خبراؤهم وعلماؤهم يضعون الخطط والبرامج لاحتواء المسلمين، وتعدّدت وسائلهم لذلك.

- فكان من تلك الوسائل تهيئة العلماء القادرين على دراسة اللغة العربية، والتاريخ العربي والإسلامي، وقام بذلك عدد كبير من «المستشرقين» من كل الأمم والشعوب والاختصاصات، ورفعَ الإعلامُ الثقافي الغربي وأتباعه من العرب منزلتهم ليُطلّوا على المثقّفين من علٍ وكأنهم أساتذة العالم ومراجع العلم، وكأن أقوالهم وآراءهم هي الحكم الفصل في كل موضوع!!

- وكان من تلك الوسائل التأثير على الموفدين للدراسة في بلاد الغرب والشرق، وكسبِ ودّهم، وغسل أدمغتهم، وجعلهم تابعين فكريًّا وثقافيًّا للذين خرّجوهم من جامعاتهم، ودعموهم ليكونوا في بلادهم التي عادوا إليها في مناصب تربوية وتعليمية وإعلامية وتوجيهية رفيعة!

- وكان من تلك الوسائل استغلال عددٍ من المثقَّفين المنحرفين ليكونوا أبواقًا للطعن في اللغة العربية، وفي الهجوم على الدّين، وفي تشويه الإسلام....

- وكان من تلك الوسائل إصدار كتب لمؤلفين موهومين وبأسماء مزوَّرة لا يُعرف أصحابها، وهي كتب مملوءة بالدسّ والافتراء على تاريخ الأمة وعقيدتها.

- وكان من تلك الوسائل أن يدخل في الإسلام من لم يكن مسلمًا، ويمثّل دور المسلم وحياته، ثم لا يلبث أن يهاجر إلى بلد من بلاد العرب على أنه مسلم هاجر من بلد آخر فضاع أصله ونسبه في بيئته الجديدة، وقد يصل إلى أن يكون ناشطًا في ميدان اجتماعي أو خيريّ أو دينيّ... وقد وصل بعضهم قديمًا إلى منصب ديني في بعض بلادنا، ووصل بعضهم إلى أن أصبح ناشطًا في الدعوة الإسلامية بين المهاجرين في بلد غربيّ!

- وقد وصل الإبداع في حرب الإسلام وملاحقة المسلمين إلى أن يوجدوا مسلمين مستأجَرين أو بتعبير أدق ممثّلين للمسلمين... يوعزون إليهم القيام بأعمال لا إنسانية ولا أخلاقية ليكونوا حجّة أمام العالم يتخذها أعداء الإسلام من سادتهم ومعلّميهم ليلاحقوا الإسلام والمسلمين... وهم قادرون على أن يزرعوهم في كل مكان ليكون وجودهم حجة لتدمير ذلك المكان والقضاء على الحياة فيه!!

- ولا شك أن من الوسائل التي صنعوها لإلهاء شبّاننا وفتياتنا بل شعوبنا كلّها تحريفهم (الرياضة والفنّ) والنفخ فيهما إعلاميًّا، ونصبهما صنمين يُتبعان، ويكون النجوم فيهما قدوة للأجيال، فجعلوا للكرة طبلًا وزمرًا وإعلامًا ومواسم وجوائز، وجعلوا للغناء لجانًا وامتحانات ومسابقات حتى تنافس في هذين الميدانين الصغار والكبار! وحتى أصبحت أمنية الشابّ أن يكون (لاعب كرة)! وأمنية الفتاة أن تصبح (مغنيّة)... وأصبحت الأسر والرجال والنساء تدعم رغبة الأبناء... وقد سمعنا أماني الشبان ورأينا عواطف الآباء والأمهات على الشاشة مرارًا... ورأينا كيف أصبحت الأهداف لهوًا ولعبًا وغناء ورقصًا!! ولم نعد نسمع من شاب أو شابة هدفًا يتصل بالوطن أو الإنسانية أو بالله نفسه!!

لقد نصبوا أهدافًا فارغة لتكون أصنامًا تعبد من دون الله، وانحرف الآلاف من المغفَّلين وراء تلك الأهداف التي لا تقدّم ولا تؤخّر!

لقد سمعت بأذني، وسمع الآلاف معي، مذيعًا عربيًّا يصرخ بأعلى صوته حين حصل فريقه على هدف (كول) قائلًا: والله إن هذا الهدف يساوي تحرير القدس!!

إن الرياضة والفنّ لا تأتيان في الأولويات قبل تحرير الأوطان وتقدّم الإنسان... وإن أخلاق الإنسان وشعوره بإنسانيته - إذا كان إنسانًا - لا تسمح له أن يغنّي ويرقص وله إخوة يُذبَّحون ويُقتلون ويُغتصبون ويُلقَون جائعين في كل ساحات الأقطار المنكوبة من بلاد العرب. هل سمعتم أن فريقًا رياضيًّا هاجم عدوًّا أو حرّر أرضًا؟

- لقد أوجد أعداؤنا علاجًا جديدًا لتجميد العواطف، وقتل الإحساس،

وتبليد الشعور، وقطع أواصر الأخوّة، والتنكّر للأرحام وللأوطان، ولنسيان كلّ ما يتّصل بسموّ الحياة وخطورة المآل والمآب! وذلك بخلط الأخبار المصيرية للأمة والنكبات المأساوية بأخبار سخيفة عن الممثلات وعن المكياج!

ولقد أصبحت بعض الفضائيات تقدّم في نشرة أخبارها باستمرار آخر أخبار (المكياج)، وحديثًا عن الطعام وألوانه، وأخبارًا عن شخصيّات يراد إبرازها في فنّ من الفنون... وقد لا تجد في نشرة أخبارها كثيرًا مما أغفلته من أحداث الساعة لأنه لا يخصّ المسؤولين في القطر الذي تتبعه القناة! وهكذا أوجدوا أبواقًا لتقطيع الأرحام بين الشعوب، ونسبوا كل شعب لأرضه أو قطره، وشغلوا الناس بالفنّ والمكياج وسفاسف الحياة عن واقعهم المؤلم ومستقبلهم المظلم ومصيرهم المجهول!!

- ومن ذلك تحريفهم وتصغيرهم لمعنى (الوطن) حتى جعلوه مقصورًا على (الأرض) وكأن الناس خلقوا ليموتوا في سبيل الأرض والتراب، لا في سبيل القيم التي تجعل للأمة وطنًا من الحرية والكرامة والرفعة والعزّة.

وعندي، كما عند كل مواطن عاش في هذا العصر، عشرات الأمثلة عن كل وسيلة من هذه الوسائل التي ذكرتها لجعل الإنسان مشغولًا بكلّ شيء من سخافات الحياة، ممتلئ الفكر والنفس والقلب بما لا مكان معه لشيء مقدَّس أو نبيل أو روحيّ!!

وعند الإخوة القرّاء مئات الأمثلة مما تقدّمه القنوات العربيّة أو أكثرها قبل الأجنبيّة مما يؤيد ما أذهب إليه.

ومما يحزّ في النفس أن الأمم الواعية تستفيد من تاريخها ومن تجاربها، وأكبر دروسها أثرًا في نفوس عقلائها الهزائم التي تصيبها والنكبات التي

تحلّ بها، إذ نأخذ من كلٍّ درسًا وعبرة، وانظر كيف بنت كلٌّ من اليابان ومـن ألمانيا ومن الدول التي هزمت في الحرب أنفسَها من جديد بعـد هزيمتهـا، فلم تمض سنون حتى أصبحت في مقدّمة الدول قوة وتقدّمًا!! على حين أن العرب بعد هزيمتهم عام ١٩٦٧ لم تنقض إلّا سـنون حتـى وصـلوا إلـى مـا نحن عليه اليوم من تشتّت وتمزّق وتحارب وتخلّف!! حتى أصـبحنا نقـول: رحم الله أيام الخمسينات!!!

لقد كان من نتائج الحروب في أوربا – مما يتّصل بموضوعنا والتخطيط لضربنا والقضاء على وحدتنا وعلى قيمنا الدينية – أن قامت باسم (السياسة) لا بأي هدفٍ آخر! لأن الهدف الآخر بقي سرًّا يُنفَّذ بحكمة وأنـاة ومـن دون إعلان – قامت جمعية الأمم المتحدة – وغرضها حلّ الخلافـات بالسياسـة والحوار وحفظ السَّلام بين الأمم والدول!

إنها جمعية أمم تضم كل دول العالم ذات (السيادة)، وهكـذا اجتمعـت دول العالم الطامحة إلى الاعتراف بسيادتها؛ لأن السيادة عندهم يُعترف بهـا من طرفهم، لا تفرضها الدولة نفسها بقوّتهـا! وهـذا أول السُّـمِّ فـي الدَّسَـمِ! وأصبحت الدول تتنافس للدخول إلى هذه الجمعية، وكأنها حزب لا يحظى بعضويّته إلّا من يقرّرون هم أنه استوفى شروط الانتساب.

ثم إن هذه الجمعية تؤخذ قرارتها بالتصـويت، وأكثريّـة أعضـائها ممـن يكرهون المسلمين، ومنهم من هم من أشدّ الناس عداوة لهـم، وهـؤلاء هـم أنفسهم أنشط الأعضاء فيها وأكثرهم هيمنة عليها!!

وهم يملكون من الأموال والقوى ما يستطيعون به إقنـاع حكّـام الـدول بالأخذ بقراراتهم... وبدأ العمل يتجلّى على حقيقته شيئًا فشيئًا:

كانت جمعيةً أمميّة دولية متحدة لحفظ السلام! فبدأت تفرّخ جمعيات لكلٍ منها هدف، هذه جمعية للثقافة والتربية، وهذه للزراعة، وهذه للتجارة، وهذه للصحّة والجنس والإنجاب!!، وهذه للمرأة وحقوقها، وهذه للعمّال وحقوقهم، وهذه لحقوق الإنسان، وهذا صندوق دَين دولي لمن يحتاج إلى أن يستدين! ودعموا هذه الجمعيّات الفرعية بأموال تدفعها الدول جميعًا لأنها أعضاء، وأقاموا في كل بلدٍ فرعًا أو مكتبًا لكلٍ من جمعيَّاتهم، وهو أشبه بالسفارات والقنصليّات الأجنبية، يتصل في البلد الذي هو فيه بالحكومات وبالجمعيات الأهلية والاتحادات النسائية والشبابية وبالنقابات، وينفّذ بمشاركتها في جميع أنحاء الوطن كلَّ ما يأتيه من المصدر أو المركز الرئيسي في الأمم المتحدة مما يتّصل باختصاصه أيًّا كان، وهو لا يسأل عن خصوصيَّات الدول أو المجتمعات التي هو فيها، لا علاقة له بدينها أو قيمها، وهو يملك من النفوذ المعنوي والمالي ما يجعل أبناء الوطن ومسؤوليه، ونساءه ورجاله يسارعون إلى نيل رضاه وتنفيذ رغباته وبرامجه!! وقد سمعت محاضرة ومحاورات في بلد عربي إسلامي تلقى على جمهرة من الشبان والفتيات ترشدهم كيف يمكن أن يتمّ الاتصال الجنسي مع الحماية من الإيدز! إنها أقيمت لتثقيف الشبّان وحماية صحّتهم فحسب!! ورأيت وفودًا منهم تذهب إلى القرى التي ما زالت قريبة من الفطرة والحياة الطبيعيّة، والتي بقيت نساؤها عاملة في الزراعة بعد فرار رجالها تحت إغواء الوظائف إلى المدن، ليعلِّموا المرأة القيام بالمشروعات الصناعية والتجارات الصغيرة.... لتصبح المرأة مشغولة عن أرضها وعن أولادها وعما تقوم عليه حياة القرية.

– ومن أبرز ما قام به أعداء الإسلام لإبعاد المسلمين عن الإسلام بعد

أن يئسوا من جعلهم أو جعل أكثرهم يغيِّر دينه، وإن نجحوا في جعل عدد قليل يغيّر دينه في أكثر من بلد من البلاد كما في الجزائر ومصر والكويت.... وفي بعض الدول الأفريقية، وإن كان بعض من هؤلاء المتنصِّرين مخادعين لهم؛ باعوا أنفسهم لهم بالمنصب أو بالمال.

- من أبرز ما قاموا به أنهم دخلوا لزحزحة العقيدة عن طريق الثقافة.

لقد استغلّوا من تلامذتهم وصنائعهم من أوصلوهم إلى المنابر الجامعية والإعلامية في بلادنا كلِّها حتى لقَّحوا ثقافة الأمّة بسموم ثقافتهم، وبين الثقافتين فرق بعيد ويتّصل بجذور العقيدة عند كلّ الأمم، فالثقافة ليست مجرّد علوم ومعارض ولغات، ولكنها قبل ذلك وبعد ذلك مناهج فكرية تحكم الأخلاق وتوجّه السلوك.... وتشمل الأفراد في حياتهم الخاصة كما توجّه حياة الجماعات والمجتمعات، لذلك فهي إن صحّت واستمدّت من عقيدة الأمة وبنيت على قيمها، تجلّت فيها شخصية الأمة وأصالتها وكانت ثقافة وحدةٍ وتقدّمٍ وبناء، وإذا استمدّت من مصادر أخرى أجنبية أو دخيلة دخلها الخلل والانحراف، وأصبحت أداة ضياعٍ وهدمٍ وانحراف! ولينظر العرب والمسلمون ليجدوا أن بعض الذين يخطّطون للتربية والتعليم ويضعون المناهج هم من الذين صنعتهم الجامعات الأوربية على أيدي أساطينها من رجال الغرب والشرق... وقد رأيت ذلك بنفسي في بعض بلادنا العربية! وسمعت بنفسي كيف يشكّك بعضهم بثقافة العرب وتاريخهم، ورأيت بوضوح كيف تصبح الثقافة المستجلَبة نيرًا تقود صاحبها إلى تبعيّة ثقافية، وإلى إعجاب بأصحاب الثقافة التي بهرتهم حضارتها وشدّت أبصارهم وبصائراهم إلى المنتجات والتقنيات الحديثة لأصحاب تلك الثقافة، وكأن

القيم والدّين والأخلاق توابع لتلك المدنيّة المتقدّمة، أو كأن تلك المدنية ومظاهرها لا تتحقق إلا بالتفلّت من تلك القيم الشرقية والعادات التقليدية أو (الخرافات) وغيرها مما يحشون به عقول الطلّاب والدارسين...

وأصبحوا يملؤون الأسماع في المدارس والجامعات ووسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئيّة بألفاظٍ وكلمات ومصطلحات حشوها بالمعاني التي أرادوها، وشوّهوا بعضها، وأطلقوها صفاتٍ ترفع من تشاء وتضع من تشاء، وهم ليسوا أهلًا لا للتفسير ولا للتعبير ولا للحكم على الناس أو أفعالهم، فكان (المعجم) الحديث الرافع الخافض يضم كلمات أمثال الرجعيّة والتقدميّة، ومسحوا كلمة (الجهاد) وأحلّوا محلها النضال والكفاح ثم المقاومة لأنهم يخافون من كل كلمة ذات مسحة دينيّة أيًّا كانت!!

بل وصل بهم الأمر إلى محاولة إلغاء (التربية الدينيّة) ووضع (الأخلاق) محلّها... إن (الدّين) شبح يرعبهم، وبأمرٍ من سادتهم عليهم تغيير كل ما هو دينيّ أو بسبيلٍ منه، فلا التضحية ولا الفداء مما يجوز التلفّظ به[1]، وأصبحنا لا نسمع إلا بـ(الانتحاريّ) وفي أسوأ المواضع وأرذل الأمثلة وأكثرها اعتداء على الأبرياء!

لقد أصبح المرء لا يستطيع أن يصف أحدًا بالأصالة أو الأصولية لأن الأصولية رجعيّة! والرجعية تخلّف، يصفون بها دولًا أو فئات أو أشخاصًا لا يستطيع أحد أن يدافع عنهم!

لقد أصبح (الوصف) الذي يطلقونه هو (الصفة) التي تلصق بالموصوف ولو كان أبعد الناس عنها، مع أن الوصف غير الصفة؛ لأن

---

(١) في بعض بلادنا ألغوا كلمة (حرام) وأحلّوا محلّها كلمة (ممنوع)!!

الوصف فعل الواصف، الذي قد يكون صادقًا وقد يكون كاذبًا، وأما الصفة فهي للموصوف سِمته الحق ونعته الصحيح، وكم نشاهد اليوم فروقًا بين وصف الواصفين وصفات الموصوفين!!

لقد استعملوا كلمة (الإرهاب) زورًا وبهتانًا بمعنى القتل والتفجير والذبح والاغتصاب... وكل غدر وخسّة!! فمن أين جاؤوا بهذه المعاني القذرة لتلك الكلمة الخالية منها لغةً وشرعًا؟!

رهب بمعنى خاف، ورهبه: خافه، ويقال: رَهَبوت خير من رَحَموت، أي لَأن تُرهَب خير من أن تُرحَم.

وأرهبه واسترهبه: أخافه وفزّعه.

واسترهبه: استدعى رهبته حتى رهبه الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: ١١٦]، أي أرهبوهم، وترهّب الرجل: صار راهبًا، لأنه صار يخشى الله تعالى، والإرهاب: الإزعاج والإخافة.

وقد جاء فعل (ترهبون) في القرآن بمعنًى من أرقى المعاني التي تحتاج الأمم اليوم إلى معناها، بل جاء بمعنى ما يعبّرون اليوم عنه بقولهم: «القوّة من أجل السلام»! قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أي: أعدّوا القوّة ليخافكم عدوّكم فلا يتجرأ على العدوان عليكم، بل يخافكم كثيرون ممن لا تعلمونهم وتعلمون عداوتهم لكم... فهل يكون الإرهاب بعد ذلك غيرَ إعداد القوّة لإخافة العدوّ لا لقتله، ولمنع بغيه وعدوانه، ولعدم تجرُّئه عليكم، أفيكون (الإرهاب) بعد ذلك غدرًا وقتلًا وقنصًا وذبحًا وخطفًا واغتصابًا؟!! ومع ذلك تجد الإعلام العربي

كالببغاء يردّد ما يفرضه علينا أعداؤنا من معاني كلمات لغتنا... إنها وسيلة قذرة لتشويه اللغة وتحريف معانيها وإبعادها عن قيمها!!

وهكذا يكون (الإرهاب) هو القوّة الرادعة التي يُحتفظ بها لإخافة من يفكّر بالاعتداء أي القوّة الرادعة لحفظ السّلام. وأما الذي يقتل فهو قاتل، والذي يغتصب مغتصِب ولكلّ فعلٍ معناه... وكلها تنسب إلى الإجرام وفاعلها مجرم، فلماذا لا نحترم اللغة ونصحّح المفاهيم، ولا ندع لا لأمريكا ولا لغيرها أن تفرض علينا معاني كلماتنا ولغتنا؟! ولا أن تختلس لغتنا، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن العلم يُختلس من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء»[1]!! أَليس اختلاس معاني الكلمات العربية الإسلامية اختلاسًا للعلم؟! وما أنزل القرآن إلّا لتدبّره والعمل به، وما التدبّر إلّا التفكّر والنظر في العواقب، ولا تدبّر إلّا بفهم معاني الكلمات وإدراك مرامي الخطاب.

- لقد وصل المسلمون اليوم في كل بلدانهم إلى طرقٍ تشعّبت بهم، وإلى أفكار فرّقت بينهم، ومعتقدات اختطفت الكثيرين منهم، وأباطيل استهوت أبناءهم، وإعلام عالميّ سيطر على إعلامهم فكرًا وفنًّا وترفيهًا ونقلًا، وتقنيات أصبحت تلازم أبناءهم في جميع مراحل حياتهم، وجميع ساعات ليلهم ونهارهم، أصبحت هي (مصاحفهم) التي يعلّقونها في رقابهم ويحفظونها في جيوبهم... ولم يعد للبشريّة عامة وللمسلمين خاصّة إلا أن يعودوا إلى سماع نداء ربّهم يوم أمرهم بالهبوط إلى الأرض قائلًا لهم: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:

---

(١) أخرجه الدارمي (٢٩٣) والترمذي (٢٦٥٣) من حديث أبي الدرداء.

١٢٣ - ١٢٤]. ثم وجّه نداءه إليهم قائلًا: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وأخيرًا، إن على الأفراد من المسلمين ألّا يستخفَّهم قادتهم الفكريّون، وكثير منهم يطمحون إلى السلطة والحكم، وبعضهم غير قادر على أن يحكم نفسه، ولا أن يلجم شهوته إلى السلطة! على المسلمين أن يحكم كل منهم نفسه قبل أن يحكم غيره، وأن يجعل من نفسه إسلامًا صادقًا يمشي على الأرض، وأن يكون لسان حاله في تمثيله للإسلام أصدقَ من لسان مقاله، وأن يكون ذا مناعةٍ تحميه من كل ما يُحيط به في مجتمعه وفي حياته من خلل واضطراب وفساد، وذا عقيدة راسخة تحميه من الدعايات المضلّلة والأفكار المسمومة... حتى إذا كان معظم أبنائنا ممن قال الله فيهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. عند ذلك نرجو النصر ونرجو الفلاح ويعود إلينا الأمل والرجاء.

ولكن كيف يمكن للمؤمنين أن يستجيبوا لله ورسوله؟

وكيف يمكن لهم أن يتّبعوا هدى الله؟

وكيف يتدبّرون كتابه؟ وكيف يفهمونه؟

وكيف يعمّهم النور الذي أرسله ليخرجهم من الظلمات؟

كيف يكون شيء من ذلك كلّه وقد حالت بينهم وبين لغة كتابه الحُجب؟!

وكيف لا يتنبّه أهل اللغة على ما نـدبهم إليـه ربّهـم حـين وصـف كتابـه بالقرآن العربي، وباللسان العربيّ المبين... ليكونـوا هـم أصـحاب تفسـيره، وشرح آياته وبيانِ معاني كلماته، وليكونوا هم لسان دعوته ورجالها؟!

إن كل خطوة تقرّب كتاب الله من قارئيه، تلاوة وتفسيرًا لآياته، وشـرحًا لكلماته، وبيانًـا لأحكامـه، كفيلـةٌ برفـع الحجـب بـين المسـلمين وكتـابهم، وإعادةِ اللُّحمة بينهم وبينه، حتى إذا اعتقدوه فكـرًا وعقـلًا، وعاشـوه عاطفـة وحبًّا، وأحيَوه سلوكًا وعملًا، عاد إلـيهم وعـادوا إليـه، وصـحّ وصـفه لهـم، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وبـذلك نحـبط محـاولات أعدائنا بفك ارتباط أجيالنا بالإسلام.

* * *

﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات: ٩

قسط وأقسط

كثيرًا ما يلتبس الأمر على بعض الكتّاب فيخلطون بين معاني الكلمات إمّا لعدم معرفتهم بأساليب العربية في التنويع في طرق المخالفة بين المعاني، أو لأسباب أخرى تتصل بأفكارهم ورغباتهم، وتكون اللغة بريئة منها!

وللعرب في تنويع المعاني للكلمة الواحدة أساليب كثيرة وطرق مختلفة، منها تغيير الحركات، لا أعني حركات الإعراب التي يفرّقون بها بين الفاعل والمفعول وأمثالهما في علم النحو، بل أعني الحركات التي يضعونها على حروف بناء الكلمة نفسها؛ كاختلاف حركة الحاء في الحُب (بالضم) والحِبّ (بالكسر) والحَبّ (بالفتح)، واختلاف حركة الباء في البَرّ (بالفتح) والبُرّ (بالضم) والبِرّ (بالكسر).

وقد يفرّقون بين معاني الأبنية بزيادة حرف كإدخال الهمزة على البناء للتفريق بين معنى (فعل) ومعنى (أفعل) مثل: عتب وأعتب، وجار وأجار، وخرج وأخرج... وهكذا.

وقد يكون التفريق بما هو أبعد من ذلك، كالتفريق بين معنيي الفعل الواحد باختلاف مصدريه، مثل: بان بيانًا، أي ظهر ووضح، وبان بَيْنًا، أي

بَعُد ونأى. ومثل رجع رجوعًا، أي عاد، ورجع رَجْعًا أي أعاد وأرجع[1].

وقد وقف غير واحد من الأخوة الكتّاب عند فعل (سقط)، وقال كل منهم قولًا غير الذي قاله غيره، وكان كلاهما مخطئًا فيما قاله!

وتفصيل الأمر في التفريق بين معنيي (قسط) أن نقول:

قَسَط يقسِط قِسْطًا (بالكسر) يعني عدل. والقِسط هو العدل. وقَسَط يقسِط قَسْطًا (بالفتح) وقُسوطًا يعني جار وظلم. والقَسْط والقسوط هو الظلم.

وكذلك: أقسط أي عدل.

وللتفريق بين الفاعلين الظالم والعادل. أخذنا اسم الفاعل للظالم من (قسط) فقلنا (قاسط). قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]. وأخذنا اسم الفاعل من (أقسط) للعادل فقلنا هو مقسط. قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وهكذا يكون (قَسَط قِسْطًا، وأقْسَط إقساطًا): عدل. والقِسط هو العدل قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥]. وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. ووصف الموازين بالقسط لأن المصدر يوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

والخلاصة: في العدل لغتان هما: قسط وأقسط ومنه المقسطون. وفي الجور لغة واحدة هي: قسط، ومنه القاسطون.

والقِسط (بالكسر) هو العدل، وكذلك الإقساط، وأما القَسط (بالفتح) والقسوط فهو الجور.

---

(١) انظر: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨] في ص٣٩.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢

وَجِل وخاف

الوَجَل: الخوف والفزع. والجمع: أوجال.

الفعل منه: وَجِل (كعلِم) يوْجَل (كيعلم). ولمضارعه وجوه أخرى أوردها تاج العروس. والأمر منه: إيجل، قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها. والرجل وَجِلٌ (كحذِر) وأوجَلُ (كأوحد) والجمع: وِجال ووَجِلون. والمرأة وَجِلة، ولا يقال وجلاء.

و(وَجِل) فعل لازم، والمتعدي منه (أَوجَلَ). ويكثر في بناء (فَعِل) ما يدلّ على أفعال الشعور الباطنيّ مثل: وجل، وهوِي، وصدِي...

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وقال: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر: ٥١-٥٣].

ونلاحظ أن الوجل خوفٌ ولكنه لا يبلغ مبلغَ الهلع أو الفزع الشديد، وأنه لا ترتعد منه الفرائص، ولكنه شعور نفسيّ داخليّ، جُعِل موضعه القلبَ، والقلب عند العرب لا يعني حقيقة العضلة النابضة في صدر الإنسان بقدر ما يعني ما يستقرّ في أعماق الإنسان وإدراكه من أثرٍ عميق لما كان كالفرح

والحزن والألم والحسرة. وكأن الوجل أقرب إلى الخشية وما يرافقها من قلقٍ وعدم اطمئنان منه إلى الخوف والفزع. فالمؤمنون الفاعلون للخيرات يقومون بها وفي نفوسهم خشية أو في قلوبهم وجل من ألّا تُقبل منهم.

وعلى كلٍّ فهذا تفسير لغويّ يجري به اللسان، وأما تفسير الوجل الواقع في القلب والذي يتلبّسه عند ذكر الله، فهو أمر يعجز اللسان عن وصفه لأنه كالحبّ؛ وهو حبّان، أحدهما تجري به أقلام الكتّاب، يصفون من خلال كلماتهم حبَّ المراهقين أو حبّ المحبّين، وهو الذي يعرفه الناس... وأما الآخر فهو حبّ الوالهين الذي لا يعرفه إلا من أصابه... ومن جرّبه... ومنذا الذي يستطيع وصف الوجل من ذكر الله أو تعريفه وهو الوجل الذي اختلط بالحب والشوق والرهبة من ذي الجلال والإكرام.

وهو الوجل الذي يخالطه الأمل والرجاء وتؤنسه الطمأنينة، وسبحان من جعل قلب المؤمن يَوْجل إذا سمع الذِّكر، ويطمئن إذا ذَكر؛ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. وإذا ذكروه اطمأنوا ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

* * *

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة: ١

الهَمز واللَّمز

ما كان بناؤه على وزن (فُعَلَة) بفتح العين، فإنه يدلّ على أن فاعله كثير الفعل، فاللُّعَنة: الكثير اللَّعْن، والهُزَأة: الكثير الهزء بغيره.

وما كان على وزن (فُعْلَة) بسكون العين، فإنه يدلّ على من يقع عليه الفعل بكثرة؛ فاللُّعْنة: هو الذي يُلعَن كثيرًا. والهُزْأة هو الذي يُستهزَأ به كثيرًا. قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]. أي الويل لكثير الهَمْز وكثير اللَّمز.

والهَمز: العيب والهامز والهمّاز: الكثير العيب لغيره أو العَيَّاب. ويقال له هُمَزَة وهمّاز قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١٠-١١]. وكذلك يقال للمرأة: هُمَزَة.

واللَّمْز كالهَمز وزنًا ومعنًى. والأصل في اللَّمز أن يكون إشارة بالعين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩]. واللَّمّاز واللُّمَزَة: العيّاب الكثير العيب.

* * *

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ يوسف: ٢٩

الغلط والخطأ، وخطئ وأخطأ

الغلط والخطأ: عدم معرفة الصواب، أو مجانبة الصواب من غير تعمّد، والفعل منهما: غلط وأخطأ.

وقيل: الغلط: وضع الشيء في غير موضعه، وربّما كان هو في ذاته صحيحًا، وأما الخطأ فما لم يكن صوابًا، أو ما كان غيره هو الصواب.

وفي القاموس المحيط: «الخَطْء والخَطَأ والخَطاء: ضدّ الصواب. وقد أخطأ إخطاءً. والخطيئة: الذَّنب، أو ما تُعمِّد منه، كالخِطْء. والخَطَأ: ما لم يُتعمَّد».

وخطِئ فهو خَاطئ، وأخطأ فهو مُخطئ.

وهكذا يقال: أخطأ، إذا أراد الصواب فصار إلى غيره، أي لم يكن قصده الخطأ ولا أراده، لذلك كان للمجتهد إذا اجتهد فأخطأ أجرٌ. وأما خطئ فيعني أنه قصد الخطأ متعمّدًا، وهو يعرف أنه خطأ، لذلك كان الخاطئ عاصيًا، وكان (الخِطْء) - وهو مصدر خطئ - بمعنى الذنب والإثم والمعصية والخطيئة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

وقال: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٦-٣٧].

وقال: ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ﴾ [العلق: ١٥-١٦].

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ الطارق: ٨

رجع رجوعًا، ورجع رَجْعًا

فعل (رجع) يأتي لازمًا بمعنى (عاد) كما في قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ [طـه: ٨٦]. وقوله: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ومصدره (الرجوع).

ويأتي (رجع) أيضًا متعدّيًا بمعنى (أرجَع وأعاد)، كما في قوله تعالى: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ﴾ [طه: ٤٠]. وكما في قوله: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٣]. وقوله: ﴿تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٧]. ومصدر (رجع) المتعدّي هو (الرَّجْع) بمعنى الإرجاع، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ [الطارق: ٨].

والخلاصة أن فعل (رجع) يأتي لازمًا ومتعدّيًا؛ واللّازم مصدره الرجوع. وأما المتعدّي الذي بمعنى الإعادة والإرجاع فمصدره الرَّجْع.

* * *

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ البقرة: ٢٥٦

الكُره والكَره والإكراه

- الكُرْه هو المكروه والكريه والمشقّة. قال تعالى: ﴿ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ ﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ أي حملته على كُره ومشقّة. وقال: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦].
- والكُره: ضدّ الحبّ. وكرَّهته: ضدّ حبَّبته إليه. قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].
- والكَره (بالفتح) هو الإكراه؛ أي الإجبار على الشيء. والإكراه: ضدّ الطواعية. قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؛ أي لا إجبار، وقال: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ [آل عمران: ٨٣]؛ أي: منهم من أسلم طائعًا مختارًا ومنهم من أجبرته الأدلّة وأكرهته على الإيمان.

* * *

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ ﴾ البقرة: ١٩٠ - ١٩١

ثقف

ثقِف الأمرَ يثقَفه (على وزن فرح يفرح) يعني صادفه يصادفه. قال تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ...﴾ [البقرة: ١٩١]. وقال: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٦-٥٧].

وثَقُف يثقُف (على وزن ظرُف يظرُف) يعني صار حاذقًا، فهو ثقْف وثقِف وثقُف.

وثقَّف الرمحَ: سوّاه مستقيمًا بعد أن كان مُعوَجًّا. وآلة التثقيف هي الثِّقاف(١). ثم عمَّ معنى التثقيف، فقالوا لمن قُوِّم عقله بالعلوم والمعارف: (المُثقَّف)، ولِما يُقوِّم العقول (ثقافة).

* * *

(١) كان الثقاف عند القدماء خشبتين ثخينتين تشدّ إحداهما إلى الأخرى بحبل متين، ويترك بينهما مسافة يُمرَّر بينهما الرمح أو الغصن المُعْوَجّ عدة مرات بعد عرضه على النار فيخرج بينهما مستقيمًا مُثقَّفًا.

المزاوجة، المشاكلة، الموافقة، المماثلة، المحاذاة

- جاءت هذه الكلمات كلها بمعنًى واحد في كتب اللغة، كما سنرى، وهي التي وُصِفت بها ظاهرة لغوية عرفها العرب في أساليبهم اللغوية، وجاءت أمثلةُ منها في القرآن الكريم والحديث النّبويّ. مثل:
- الضُّرّ والضَّرّ.
- القُرّ والقَرّ.
- موزورات ومأزورات.
- مرأني وأمرأني.

فهذه الكلمات وأمثالها جاءت على وجهين، أحدهما عُدل عن الأصل فيه ليوافق لفظًا جاء على الأصل؛ فلفظ (مأزورات) مثلًا أصله (موزورات)؛ لأنه من الوِزر، وهو الحِمل الثقيل والإثم، يقال: وُزِر يُوزَر فهو مَوْزور، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي لا تحمل نفس ذنب أخرى، وقد جاءت (مأزورات) بقلب الواو همزة في الحديث النبوي: «ارجعن مأزورات غير مأجورات» لتشاكل (مأجورات) مع أنها هي من (الوزر) ومأجورات من (الأجر)، يقال: أجره الله، أي أثابه، فهو مأجور.

وقد عُرفت هذه الظاهرة عند اللغويين بالمزاوجة أو الازدواج، وبالمشاكلة أو المماثلة، وكلّها عندهم بمعنى التوافق والاقتران.

ففي (الصحاح) زوج: «التزاوج والمزاوجة والازدواج بمعنًى».

وفي (التاج) زوج: «زوَّج الشيء بالشيء، وزوَّجه إليه: قرنه[1]، وكل شيئين مقترنين، شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان، وكل واحد منهما زوج. ومن المجاز: تزاوج الكلامان وازدوجا. قالوا على سبيل **المزاوجة**، هو والازدواج بمعنًى واحد. وازدوج الكلام وتزاوج: أشبه بعضه بعضًا في السجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيّتين تعلّق بالأخرى. ومن المجاز أيضًا: أزوج بينهما وزاوج، كذا في الأساس، وفي اللسان».

وفي (التاج) أيضًا (القرّ): «والفتح - أي فتح القاف - حكاه اللّحياني في نوادره، ومع الحَرّ أوجبوه لأجل المشاكلة». وفي (اللسان): «المشاكلة: الموافقة».

ونقل الزَّبيدي في (التاج) عن أبي حيّان قوله في تذكرته: إنهم «يُزيلون اللفظ عمّا هو به أولى لأجل **التوافق والازدواج**، نحو: «أنفِقْ بلالا ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا. وارجعن مأزورات غير مأجورات». وبمثل ذلك جاء معنى المزاوجة والازدواج في مختار الصحاح وأساس البلاغة.

ويحسن التذكير بأن توارد الاقتران للتشابه أو المزاوجة أو الازدواج أو المشاكلة أو المماثلة أو المشابهة بمعنًى واحد عند اللغويين.

وقد استعمل ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ مصطلح (المحاذاة) للدلالة على هذه الظاهرة اللغوية، وعقد في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) بابًا سمّاه «المحاذاة»[2] وقال فيه: «ومعنى المحاذاة أن يُجعلَ كلام بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظًا وإن كانا مختلفين، فيقولون «الغدايا

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧] أي: قرنت بأعمالها.

(٢) الصاحبي ص١٩٥ (ط المكتبة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٢٨هـ و١٩١٠م).

والعشايا» فقالوا (الغدايا) لانضمامها إلى (العشايا)، ومثل قولهم: «أعوذ بك من السامَّة واللامّة» فالسّامّة من قولك: سَمّتْ إذا خصَّت، واللّامّة أصلها (ألمَّت) لكنْ لما قُرنت بالسّامة جُعلت في وزنها...

وقال[1]: وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابة المصحف، كتبوا: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢] بالياء[2]، وهو من ذوات الواو، لمّا قرن بغيره مما يكتب بالياء. قال: ومن هذا الباب في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٩٠]، فاللام التي في ﴿لَسَلَّطَهُمۡ﴾ جواب (لو) ثم قال: ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمۡ﴾ فهذه حوذيت بتلك اللام وإلّا فالمعنى: لسلّطهم عليكم فقاتلوكم. ومثله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] - فهما لاما قسم - ثم قال: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ فليس ذا موضع قسم لأنه عذرٌ للهدهد، فلم يكن ليقسم على الهدهد أن يأتي بعذر، لكنه لمّا جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه، فكذا باب المحاذاة.

قال: ومن الباب: «وزنته فاتزن، وكِلته فاكتال» أي استوفاه كيلًا ووزنًا. ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] تستوفونها لأنها حق للأزواج على النساء.

ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه، نحو: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٤ - ١٥] أي يجازيهم جزاء الاستهزاء. و﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]. و﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩] و﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٧] و﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ

(١) أي ابن فارس.

(٢) أي بالألف المقصورة.

سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] ومثل هذا في شعر العرب قول القائل:

ألا لا يجهلـــن أحـــدٌ علينـــا فنجهل فـوق جهـل الجاهلينا»[١]

فإذا كانت (المزاوجة) لغةً هي أن تقرن بين الشيئين، فإنها في اصطلاح البلاغيين تعني أن تزاوج بين معنيين في الشرط والجواب، بـأن تُرتِّـب علـى كلٍّ منهما معنًى هو الذي رُتِّب على الآخر[٢].

وإذا كانت (المشاكلة) لغةً هي المماثلة والمشابهة، فإنها في الاصطلاح البلاغيّ تعني التعبير عن شيءٍ بلفظ غيره لوقوعه في صحبته[٣].

وأما (الموازنة) فهي في اللغـة مصـدر لفعـل (وازن) تقـول: وازن بـين الشـيئين إذا سـوّى بينهمـا. وهـي فـي الاصـطلاح البلاغـيّ تعنـي تسـاوي الفاصلتين في الوزن دون القافية[٤].

ونذكر فيما يأتي أمثلة من المزاوجة بين:

- القُرّ والقَرّ.
- والغدايا والعشايا.
-وهنأني ومرأني.
- ومأزورات ومأجورات.
- والضُّرّ والضَّرّ.

* * *

(١) الصاحبي: ١٩٥، وانظر أمثلة أخرى للمحاذاة في المزهر للسيوطي ١/ ٣٣٩-٣٤٢.

(٢) تهذيب الإيضاح ١/ ٧٣. والمفصّل في علوم البلاغة: ٥٦٩، وشرح عقود الجمان: ٩٦٣.

(٣) تهذيب الإيضاح: ١/ ٥٩، والمفصّل في علوم البلاغة: ٥٦٧، وشرح عقود الجمان: ٩٥٩.

(٤) تهذيب الإيضاح: ١/ ٢٩٣، والمفصَّل في علوم البلاغة: ٦٥٠.

القُرّ والقَرّ

جاء في التاج: «القُرّ بالضمّ: البرد عامّة، أو يُخصّ القُرّ بالشتاء، والبرد في الشتاء والصيف. والفتح (أي: القَرّ) حكاه اللحياني في نوادره، ومع الحرّ أوجبوه لأجل المشاكلة». أي أنهم حين يقرنون ذكر الصَّرّ بالحرّ يفتحون القاف لتتمّ المشاكلة بين الحَرّ والقَرّ.

ويتابع الزَّبيدي الشرح فيقول: «يعني به ما وقع في حديث أم زرع (في وصف زوجها): لا حَرّ ولا قَرّ، أرادت أنه معتدل، وكنتْ بالحرّ والقَرّ عن الأذى قليله وكثيره».

وهكذا (القُرّ) بضم القاف، ولكن إذا قُرنت بالحَرّ فتحت قافها للمشاكلة.

ومما يُحمل على المشاكلة كذلك قوله ﷺ: «انفق بلالًا ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا» فـ(بلال) منادى مفرد علم يبنى على الضم ولكنه جاء منصوبًا لمشاكلته (إقلالًا) في آخر الحديث.

وحمل عليها أيضًا قولهم: «الغدايا» في جمع (الغُدْوة).

والغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس وجمعها غَدَوات.

وفي التاج (غدا): «وغدايا هو أيضًا جمع (غدية) على قول ابن الأعرابي، فإذا كان كذا فهو على القياس، والأصل فيه (غدايو). أو لا يقال (غدايا) إلّا مع (عشايا). قال الجوهري: قولهم: «إني لآتيه الغدايا والعشايا»

هو لازدواج الكلام، كما قالوا: هنأني الطعام ومرأني» وإنما هو أمرأني..

وتابع صاحب التاج قوله: «وقال أبو حيان في تذكرته ما نصّه: «يزيلون اللفظ عمّا هو به أولى لأجل التوافق والازدواج، نحو: انفق بلالًا، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالًا»[١]. و«ارجعن مأزورات غير مأجورات»[٢] وليس من ذلك «إني لآتيه الغدايا والعشايا»؛ لأن الغدايا ليس جمع غداة وإنما هو جمع غدية بمعنى غداة»[٣].

قال الزَّبيدي في التاج (وزر): «وأما قوله ﷺ لزائرات القبور: «ارجعن مأزورات غير مأجورات» أي آثمات، والقياس موزورات، فإنه للازدواج، أي لما قابل الموزورات بالمأجورات قلب الواو همزة ليأتلف اللفظان ويزدوجا، كما قاله الليث، وقيل هو على بدل الهمزة من الواو في وزر، وليس بقياس لأن العلة التي من أجلها همزت الواو في وزر ليست في مأزورات، ولو أفرد لقيل موزورات، وهو القياس».

ومما يحمل على ذلك قولهم (الضَّرُّ والضُّرُّ) جاء في لسان العرب أن ما كان من سوء حال وفقر أو شدَّة في بدن فهو ضُرٌّ (بالضم)، وما كان ضدَّ النّفع فهو ضَرٌّ (بالفتح)[٤].

---

(١) حديث نبويّ، روي بالنصب (بلالا)، وروي بالبناء على الضم (بلال). وهو في الطبراني الكبير، وفي المقصد العليّ للموصلي: والرواية فيه: «انفق بلالا ولا تخافن...» وفي التيسير شرح الجامع الصغير، والدرر المنتثرة وفي إحياء علوم الدين.

(٢) الأصل (موزورات) من الوِزر، وهو الحمل الثقيل أو الإثم، وأبدل الواو همزة (مأزورات) لتوافق (مأجورات).

(٣) في مختار الصحاح (غدا) الغدوة، «والجمع الغدوات وقولهم: (إني لآتيه الغدايا والعشايا) هو لازدواج الكلام، كما قالوا: (هنأني الطعام ومَرأني) وإنما هو أمرأني.

(٤) اللسان (ضرر).

وجاء في التاج: «الضَّرّ، ويُضَمّ، لغتان: ضـدّ النَّفـع، أو: الضَّـر، بـالفتح مصدر، وبالضَّم اسم. وقيـل: همـا لغتـان، فـإذا جمعـت بـين الضّـر والنفـع فتحت الضّاد، وإذا أفردت الضـرّ ضـممت إذا لـم تسـتعمله مصـدرًا، هكـذا تستعمله العرب. والضَّرر: النُّقصان يدخل في الشيء»[1].

وجاء في كتاب (الفروق) للعسكري: «الضَّر: خـلاف النَّفـع... والضُّـرّ الهُزال وسوء الحال، ورجل مضرور: سيّء الحال. والضُّرّ أبلغ مـن الضَّـرر؛ لأنّ الضَّرر يقع على أقلّ قليل الفعل؛ لأنه مصدر جـاء علـى فعلـه، كالصـفة الجارية على الفعل، والضُّر بالضمّ كالصفة المعدولة للمبالغة»[2].

الضَّرُّ والضُّرُّ في القرآن:

وردت الكلمتان في كتاب الله تعالى غير مرّة؛ أما (الضَّـرّ) بفـتح الضـاد فقد ذكرت تسع مرّات، وكانت فيها جميعها مقترنة بـذكر (النَّفـع)، كمـا فـي قولــه تعــالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦].

وقوله: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وكذلك جاءت (الضَّرّ) و(النَّفع) مقترنتين في:

سورة يونس (الآية ٤٩)، وسورة الرعد (الآية ١٦)، وسورة طـه (الآيـة ٨٩)، وسورة الحج (الآيـة ١٣)، وسـورة الفرقـان (الآيـة ٣)، وسـورة سـبأ (الآية ٤٢)، وسورة الفتح (الآية ١١).

وأما (الضُّرّ) بضمّ الضّاد فقد تكررت مفردة غير مقترنة بــ(النَّفـع) تسـع

---

(١) تاج العروس (ضرر).

(٢) الفروق ١٩٢.

عشرة مرّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]. وكقوله في سورة يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢]. وكذلك هي في سورة يونس (الآية ١٠٧)، وفي سورة يوسف (الآية ٨٨)، وسورة النحل (الآيتان ٥٣ و٥٤)، وسورة الإسراء (الآيتان ٥٦ و٦٧)، وسورة الأنبياء (الآيتان ٨٣ و٨٤)، وسورة المؤمنون (الآية ٧٥)، وسورة الروم (الآية ٣٣)، وسورة يس (الآية ٢٣)، وسورة الزمر (الآيات ٨ و٣٨ و٤٩).

ومن الجدير بالذكر أن (الضَّر) بالفتح جاءت مرّة مقترنة بـ(الرَّشَد) بفتح الراء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، وعلّق عليها ابن عاشور في تفسيره بقوله: «وفي الكلام احتباك(١)؛ لأن الضَّر يقابله النفع، والرشد يقابله الضلال، والتقدير: «لا أملك لكم ضَرًّا ولا نَفعًا، ولا ضلالًا ولا رَشَدًا»، فـ الرَّشَد بفتحتين مصدر رَشَد، والرُّشد بضمٍ فسكون الاسم، وهو معرفة الصواب»(٢).

---

(١) الحَبْك لغةً كما في المحيط للفيروزآبادي هو «الشَّدَّة والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب» وفي شرح المرشدي على عقود الجمان للسيوطي «ومنه [أي من البديع المعنوي] الاحتباك.
وهو لغةً: افتعال من الحبك، بالحاء المهملة، والباء الموحدة، والكاف. ومعناه: الشَّدُّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبكُ الثوب: سدُّ ما بين خيوطه من الفُرَج، وشدُّه وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل، مع الحُسْن والرَّونق.
وعُرفًا [في البلاغة]: أن تُذكر جملتان في كل منهما متقابلان، ثم يُختصر، أي يُحذف من شِقّي الجملة، أي من طرف كل واحدة من الجملتين ضِدُّ ما ذُكر في الأخرى، ويبقى منهما ضدُّ ما حذف، كقوله تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]؛ فحذف من الأولى (مؤمنة) ومن الثانية (تقاتل في سبيل الشيطان).... عقود الجمان ٢/ ١١٠١.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٤٣.

لام التوقيت

لم تكن طريقة اللغويين والنحويين واحدة في الجمع والتدوين والتأليف، بل كانت لكلٍّ منهم طريقته التي أملتها عليه غايته من جمعه وتأليفه. وكذلك لم تكن للغة والنحو مصطلحات تواضعوا عليها؛ فكانت مدلولات كلمات كـ (الحرف) و(النحو) مستعملة دون أن تكون لها تعريفاتها أو حدودها المتفَق عليها بينهم. فالعربيّة تعني عندهم كلَّ ما يتصل بالنحو والصرف وغيرهما مما يتفرع منهما أو يتصل بهما؛ لأن العلم بها يراد منه أن يجعل المتعلّم يتكلّم على سمت الكلام العربي، كما في كتاب سيبويه مثلًا. و(الحرف) قد يكون بمعنى (الكلمة)، وقد يكون بمعنى (حرف الهجاء)، وقد يكون بمعنى حرف من حروف المعاني ، لذلك اختار ابن هشام كلمة (الأدوات) ليعبِّر بها عن الحروف ذوات المعاني، سواءً أكانت حروفًا أم أسماء أم أفعالًا، تمييزًا لها من حروف الهجاء.

واتّجه فريق من النحويين إلى التأليف في الموضوعات النحوية؛ فكتبوا عن أقسام الكلم من اسم وفعل وحرف، وعمّا يتصل بكلٍّ منها، وكتب آخرون عنها من خلال مواقعها مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة... ولم يُغفل هؤلاء المؤلّفون الكتابةَ عن الحروف في كتبهم، ولكن الحديث عنها جاء في ثنايا صفحاتهم وخلال أحاديثهم عن موضوعات تتصل بها، فكان حديثهم عن الحروف

الجازمة في موضعه من بحث جزم الفعل المضارع، وكذلك كان حديثهم عن الحروف الناصبة أو الجارّة في موضعها من بحث المنصوبات والمجرورات.

واتجهت طائفة من العلماء إلى الكتابة عن (الحروف)؛ فكتب بعضهم عن حروف الألف باء ومعانيها، كما في الكتاب المنسوب إلى الخليل[1]، وكتب آخرون عن أوصافها ومخارجها، وعن لهجات العرب في نطقها؛ كما في كتاب أو كتب (الهمز). وتناول بعضهم (حروف المعاني) فجمعها وعرض معانيها، وكانت كتب هؤلاء المؤلِّفين تختلف في أغراضها؛ فمنهم من قصر بحثه على الحروف في كتاب الله[2]، ومنهم من تناولها وعرض لمعانيها أينما جاءت في كتاب الله أو في كلام العرب. وأبرز من قام بذلك منهم:

الهروي في كتاب (الأزهية في علم الحروف).

والمرادي في كتاب (الجنى الداني في حروف المعاني).

والمالقي في كتاب (رصف المباني في شرح حروف المعاني).

وابن هشام في كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)[3].

وهو الذي جعل الباب الأول من كتابه، وهو أكبر أبواب الكتاب للبحث في (الأدوات) ومعانيها واستعمالاتها وشواهدها في كتاب الله وكلام العرب.

---

(١) صدر في «سلسلة روائع التراث اللغوي» (ثلاثة كتب في الحروف للخليل بن أحمد، وابن السكّيت، والرازي) تحقيق د. رمضان عبد التواب.

(٢) انظر الكتب المؤلفة في لامات القرآن ككتاب اللامات لابن فارس الذي حققه د. شاكر الفحام. (مجلة المجمع م٤٨ ج٤ ص٧٥٧)، وانظر كتاب (الفهرست لابن النديم. ص٥٤) ط مصر سنة ١٣٤٨.

(٣) انظر التفصيل في موضع كلّ من هذه الكتب بقائمة المصادر والمراجع.

وكان من العلماء من قصر تأليفه على حرفٍ واحد كالهمز أو اللام أو (ما).

ومنهم من ألّف عن حرف واحدٍ في كتاب الله، ككتب اللامات في القرآن خاصّة، وقد ألّف فيها الأخفش الأوسط، والأنباري، وابن فارس، الذي حقق كتابه د. شاكر الفحام، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق(1).

وألّف غيرهم في اللّامات عامّة؛ في القرآن، وفي كلام العرب وأشعارهم، ككتاب اللّامات للزجَّاجي. ويمكن لمن أراد الاستزادة في أخبار التأليف في الحروف أن ينظر في الكتب الآتية؛ ففي كل منها حديث لا يغني عنه غيره:

١- الفهرست لابن النديم.

٢- ثلاثة كتب في الحروف. د. رمضان عبد التواب.

٣- الحروف للمزني. تح: د. محمود حسني محمود، ود. محمد حسن عوّاد.

٤- كتاب اللّامات للزجاجي. تح: د. مازن المبارك.

٥- اللامات لابن فارس. تح: د. شاكر الفحام.

٦- مقدّمات الكتب المحققة التي تناولت الحروف كالجنى الداني للمرادي ورصف المباني للمالقي(2).

وليس عدد اللامات واحدًا عند الذين كتبوا عن الحروف، ولا عند الذين أفردوا اللام بالتأليف، فلقد أسقط بعضهم بعض معانيها، ودمج بعضهم ما رآه متقاربًا من معانيها بعضَه في بعض، وأعاد آخرون بعض معانيها إلى بعض. ويفسّر ذلك ما أشار إليه غير واحدٍ منهم؛ فقد قال الزجّاجي في كتابه اللامات، الذي عدّ منها إحدى وثلاثين لامًا:

(١، ٢)ينظر للتفصيل في تحقيق هذه الكتب وطباعتها وأماكن نشرها وتاريخه، قائمة المصادر المصادر والمراجع في آخر الكتاب.

«هذا كتاب مختصر في ذكر اللّامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل، ومعانيها، وتصرّفها، والاحتجاج لكل موقع من مواقعها، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف»[1]، وبعد أن عدّد إحدى وثلاثين لامًا، مفصِّلًا معانيها واستعمالاتها وشواهدها، عقد بابًا عنوانه «باب معرفة أصول هذه اللامات وبيان تشعّبها منها» وقال فيه: «اعلم أن هذه اللامات كلّها، على اختلاف مواقعها وتبيان تصرّفها، متشعّبة من عشر لامات، وهي الأصول كلّها، وهي: الأصلية، ولام الإضافة، ولام التوكيد، ولام الأمر، ولام الجحود، ولام البدل، ولام الجواب، واللّام المزيدة، ولام الفصل، ولام العاقبة[2]، وبعد أن يفصّل الزجاجي في بيان عودة اللامات كلّها إلى هذه اللامات العشر، يعود ليقول: «ولولا اختلاف مواقع هذه اللامات، وتبيان أحكامها وعللها وشروطها، لكان لقائل أن يقول: اللامات كلها متشعّبة من لامين: لام أصلية، ولام زائدة. وهي لعمري ترجع كلها إلى هاتين اللامين»[3].

وقد عبّر العلماء عن اللام التي تُسمَّى لام التوقيت بأساليب مختلفة؛ فمنهم من ذكر أمثلة على استعمالها في كلام العرب ولم يُسمِّها، ومنهم من حملها على غيرها من الأدوات وفسّرها بمعنى الأداة التي حملها عليها، وقال إنها بمعناها.

ولعل ابن قتيبة (٢٧٦هـ) كان من أوائل الذين وصلت إلينا أقوالهم عنها،

---

(١) الزجاجي، اللامات: ص ٢١.
(٢) الزجاجي، اللامات: ص ١٤٨.
(٣) الزجاجي، اللامات: ص ١٥٠.

إذ قال في حديثه عن التأريخ فإذا أرادوا التأريخ، قالوا للعَشْر وما دونها (خَلَوْن) و(بقِيْن) فقالوا: لتسع ليالٍ بَقِين، ولثماني ليالٍ خَلَوْن»، لأنّهم بيَّنوه بجمع (يريد قولهم«ليال») وقالوا لِما فوق العشر (خلتْ) و(مضتْ) و(بقيتْ) لأنهم بيَّنوه بواحد (أي ليلة)، فقالوا (لإحدى عشرةَ ليلةً خلتْ، ولثلاثَ عشرةَ ليلةً بقيتْ) ثم قال: «إنما أرّختْ بالليالي دون الأيام، لأن الليلة أولُ الشهر، فلو أرّخت باليوم دون الليلة لذهبت من الشهر ليلة»[1].

وعاد بعد ذلك ليقول في باب آخر من كتابه[2] «واللام بمعنى (بَعد) كقولهم «كُتبت لثلاثٍ خَلَون»، أي: بعد ثلاث خلون. وقال الراعي:

حتى وَرَدْن لِتمِّ خِمْسٍ بائصٍ جُـدًّا تعاوره الرياح وبيلا

أي بعد تمام خمس»[3].

وقال أبو القاسم الزجَّاجي (٣٣٧هـ)[4]: «اللام بمعنى (عند) في قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]. وقال: «اللام بمعنى (بعد) في قولهم: كتبت لثلاث خلون، أي بعد ثلاث خلون، قال الراعي:

حتى وردن لتمّ خمس بائص...» [5]

---

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٧١، باب التأريخ والعدد: والتأريخ عند العرب بالليالي دون الأيام، لأن الشهر القمري أوله ليلة وآخره نهار. يقولون: كُتبت لأول ليلة من شهر كذا، أو لمستهلّه، أو لغُرَّته، أو لخمس خلون..أو لثلاث عشرة ليلة خلت. ويقولون: لآخر يوم منه، أو: لانسلاخه؛ يعنون أنهم كتبوا في آخر الشهر، وأن الشهر كان ثلاثين يومًا، فدلّوا بذلك على تمام الشهر.

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٥١٩، باب دخول بعض الصفات مكان بعض.

(٣) البائص: البعيد. والجُدّ: البئر.

(٤) الزجاجي، حروف المعاني: ٨٤.

(٥) الزجاجي، حروف المعاني: ٨٥.

وجاء في تفسير الكشاف للزمخشري (٥٣٨هـ) عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]: اللام في (لأول الحشر) تتعلّق بـ«أخرج»، وهي اللام في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]. وقولك: جئته لوقت كذا، والمعنى: أخرج الذين كفروا عند أول الحشر[1]، وجاء في الحاشية (١): «اللام في قوله «لأول الحشر» كاللام في قوله «قدمت لحياتي»، كأنه يريد أنها اللام التي تصحب التاريخ، كقوله: كتبت لعام كذا ولشهر كذا».

وجاء عند قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]: هذه - أي لحياتي- وهي حياة الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا، كقولك: «جئته لعشر ليالٍ خلون من رجب»[2].

وذكر المالقي (٧٠٢هـ) في كتابه: «رصف المباني في شرح حروف المعاني» أن اللام «تكون بمعنى (بَعد)، وهو أيضًا موقوف على السَّماع لقلّته. ومما جاء من ذلك قولهم: «كتبت لخمس خلون من الشهر، ولستٍّ مضَين منه» أي: بعد خمس، وبعد ستٍ، وقول الشاعر: حتى وردن لِتمِّ خَمْسٍ بائص...

أي: بعد تمام خمس»[3].

وأما المرادي (٧٤٩هـ) فقد ذكر من معاني (اللام) الجارّة معنيي (عند) و(بعد) فقال في التاسعَ عَشَرَ من معانيها إنها تكون بمعنى (عند) كقوله

(١) الزمخشري، الكشاف ٤/ ٤٨٧.
(٢) الزمخشري، الكشاف ٤/ ٧٤٠.
(٣) المالقي، رصف المباني: ٢٢٤ في حاشيته «أن البيت للراعي، وهو في ديوانه: ١٣ وعجزه: جُدًّا تَعارضُه السُّقاة وبيلا.» والبيت في أدب الكاتب ص٥١٩ ولسان العرب (تمم).

تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾[الإسراء: ٧٨]. قيل وعليه الأثر النبوي: صوموا لرؤيته، أي: بعد رؤيته، وجعل بعضهم منه: كتب لخمسٍ خَلون.

وجعل الشجري منه قول الشاعر:

فلمّا تفرّقنا كأني ومالكًا　　لطول اجتماع لم نبت ليلة معا[1]

وذكر ابن هشام (٧٦١هـ) في المغني أن (عند) اسم لمكان الحضور، وأنها ظرف، وأنها تأتي لزمانه أيضًا نحو: الصبر عند الصدمة الأولى، وجئتك عند طلوع الشمس. وهي لا تقع إلّا ظرفًا أو مجرورة بـ (مِن)[2].

ثم ذكر ابن هشام في المعنى الحادي عشر من معاني اللّام الجارّة أن تكون بمعنى (عند) كقولهم: كتبته لخمسٍ خَلَون، قال: وجعل منه ابن جني قراءةَ الجحدريّ: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لِمَا جَآءَهُمۡ ﴾[ق: ٥] بكسر اللام وتخفيف الميم.

وذكر في المعنى الثاني عشر من معاني اللام موافقة (بَعد) نحو: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾[الإسراء: ٧٨].

وفي الحديث: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته». وقال:

ولـمّا تفرّقنا كأني ومالكًا　　لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال بعضهم إن اللام في البيت بمعنى (مع)[3].

ولم يكن ما في كتب اللغة عن (عند) و(بعد) بعيدًا عما عند النحاة؛ فقد جاء في القاموس المحيط: «عند: ظرف في الزمان والمكان» وجاء في تاج العروس: (بعد): «وبعدَ ضدُّ قَبل، يعني أن كلًّا منهما ظرف زمان كما عرف

---

(١) المرادي، الجنى الداني: ١٤٧. والبيت لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب ١/ ١٦٨.

(٣) ابن هشام، مغني اللبيب ١/ ٢٣٤.

في العربية، ويكونان للمكان كما جوَّزه بعض النحاة، يُبنى مفردًا، أي عن الإضافة، لكن بشرط نيّة المضاف إليه دون لفظه.

ويُعرَب مضافًا؛ لأن الإضافة توغله في الاسمية، وتبعده عن شبه الحروف، فلا موجب معها لبنائه».

ونقل التاج عن المصباح: (بعد) ظرف مبهم لا يفهم معناه إلا بالإضافة لغيره ، وهو زمان متراخٍ عن الزمان السابق، فإن قَرُب منه قيل بُعيد بالتصغير.

وفيه: (بعد) ضدّ (قبل)، وهما اسمان يكونان ظرفين إذا أضيفا. وإذا حذفتَ المضاف إليه لِعلْمِ المخاطَب به، بنيتَهما على الضمّ، ليُعلم أنهما مبنيّان؛ لأن الضم لا يدخلهما إعرابًا؛ لأنهما لا يصلح وقوعهما موقع الفاعل ولا موقع المبتدأ ولا الخبر.

وكذلك قال الرازي في مختار الصّحاح (بعد).

وهكذا جاءت كلٌّ من (عند) و(بعد) ظرفًا للمكان وللزمان، فالمكان نحو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]. وقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩١]. وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. ونحو قولك: بيتي بعد النهر. وبيته بعد بيتي. والزمان نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [النور: ٥٨]. وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]. وقولك: «زارني عند شروق الشمس، وزرته بعد الغروب.»

ولـمّا كانت (عند) و(بعد) تقعان ظرفي زمان ومكان، وكانت (اللام) التي تأتي بمعناهما، لا تأتي إلّا للزمان فقط، وكانت تستعمل للتأريخ وللدلالة على الوقت، سُمِّيت (لام التوقيت)، والتوقيت لغةً: تحديد الوقت.

ولام التوقيت تستعمل إمَّا للدّلالة على أول ما اتّصلت به، من ظرف أو مما جُعل ظرفًا، نحو: لأول الشهر، ولأول سنوات الدراسة، أي عند أول الشهر، وعند أول سنوات الدراسة. وإمَّا للدلالة على ما بَعد ما اتَّصلت به، نحو قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته»؛ أي: بعد دلوك الشمس، وبعد رؤيته.

ومِن أثبتِ ما جاءت فيه اللام للتوقيت وأوضحه ما قاله الشيخ ابن عاشور(١) في تفسير التحرير والتنوير، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢] من الآية الكريمة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الحشر: ٢] قال الشيخ ابن عاشور: «اللام في قوله (لأول الحشر) لام التوقيت، وهي التي تدخل على أول الزمان المجعول ظرفًا للعمل، مثل قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]؛ أي من وقت حياتي، وقولِهم: كُتب ليوم كذا، وهي - أي اللام - بمعنى (عند). والمعنى أنه أخرجهم عند مبدأ الحشر المُقدَّر لهم»(٢). وقال «وفي جعل هذا الإخراج وقتًا لأول الحشر إيذان بأن حشرهم يتعاقب حتى يكمل إخراج جميع اليهود» «وقيل: وصف الحشر بالأول لأنه أول جلاء أصاب بني النَّضير لأنهم كانوا في بلاد العرب، أي لم يكونوا من اليهود الذين أُجلوا أيام بختنصر وأيام الروم، فكان أول جلاء أصاب اليهود جلاء بني النضير»(٣).

---

(١) هو العلّامة التونسي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، شيخ جامع الزيتونة، ثم عميد الجامعة الزيتونية. وصاحب التآليف الكثيرة في التفسير والأدب والبلاغة. توفي سنة ١٩٧٣م.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير ج١٣/ ٦٨.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٣/ ٦٩.

وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

«اللام في قوله «لحياتي» تحتمل معنى التوقيت، أي قدّمت عند أزمان حياتي، فيكون المراد الحياة الأولى التي قبل الموت، وتحتمل أن تكون اللام للعلّة، أي قدّمت الأعمال الصالحة لأجل أن أحيا في هذه الدار»[١].

وقد سبق للزمخشري أن قال «يا ليتني قدمت لحياتي هذه، وهي حياة الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا، كقولك: جئته لعشرٍ خَلَون من رجب»[٢].

وقال صاحب الجدول في إعراب القرآن، في الحاشية، تعليقًا على قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾: اللام تسمّى لام التوقيت، أي عند أول الحشر»[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الكتب القرآنية؛ أي كتب التفسير، وإعراب القرآن، كانت أحفل بلام التوقيت من الكتب التي اختصّت بالحروف ومعانيها! فعلى حين لم تذكر كتب حروف المعاني أو معاني الحروف من معاني (اللام) الجارّة إلّا أنها تأتي بمعنى (في) أو (عند) أو (قبل) أو (بعد) كما رأينا، دون تسميتها أو تخصيصها بالظرفية الزمانية دون المكانيّة، نجد كتب التفسير تسمّيها بالتوقيتيّة، وتحدّد معناها. وقد كان من المفسّرين من اكتفى بالإشارة إلى هذه اللام وتسميتها، كما فعل أبو حيان في «البحر المحيط»[٤]، والسّمين الحلبي في «الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون»[٥] وغيرهم، وكان منهم من عُنِيَ بالوقوف عندها، ومتابعة شواهدها، وبيان المراد بقولهم

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥/ ٣٣٩.

(٢) الزمخشري، تفسير الكشاف ٤/ ٧٤٠.

(٣) صافي، الجدول في إعراب القرآن ١٢/ ٣١٠.

(٤) أبو حيّان، البحر المحيط ١٠/ ١٣٧.

(٥) السمّين الحلبي، الدرّ المصون: ص ٥٢٣١.

إنها للاختصاص وإنها للتوقيت؛ كما فعل الألوسيّ الذي وقف عند قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ فقال في تفسيره المعروف بروح المعاني: «وقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ متعلّق بـ (أخرج)، واللام لام التوقيت، كالتي في قولهم «كتبت لعشر خَلَون» ومآلها معنى (في) الظرفية، لذا قالوا هنا: أي في أول الحشر، لكنهم لم يقولوا إنها بمعنى (في) إشارةً إلى أنها لم تخرج عن أصل معناها للاختصاص؛ لأن ما وقع في وقتٍ اختصّ به دون غيره من الأوقات. وقيل إنها للتعليل، وليس بذاك»[1].

وما قاله الآلوسي عن عدم خروج لام التوقيت عن معناها الأصلي الذي هو الاختصاص، تلخيص موجز لما قاله الرضيّ الأستراباذي، وهو من أطول العلماء نفَسًا وأكثرهم تفصيلًا في الحديث عن أساليب العرب في التأريخ، وعن اعتماد اللام في الدلالة على التوقيت.

قال الرضيّ الأستراباذي في شرحه لكافية ابن الحاجب:

«اعلم أن الليل في تاريخ العرب مُقدَّم على اليوم؛ لأن السنين عندهم مبنيَّة على الشهور القمريّة، وذلك لأن أكثرهم من أهل البراري الذين يتعسّر عليهم معرفة دخول الشهر إلّا بالاستهلال، فإذا أبصروا الهلال عرفوا دخول الشهر، فأول الشهر عندهم الليل؛ لأن الاستهلال يكون في أول الليل، فيقال في أول ليلة من الشهر: «كُتب لأول ليلةٍ منه، أو لغرَّته، أو لِمَهلِّه، أو لِمُستهلّه»، وفي اليوم الأول: «لليلةٍ خلتْ» واللّام هي المفيدة للاختصاص الذي هو أصلها».

(١) الألوسي، روح المعاني: ٢٨/ ٣٩.

والاختصاص هنا على ثلاثة أضرب:

إمّا أن يختصّ الفعل بالزمان لوقوعه فيه، نحو: كتبت لغرَّة كذا.

أو يختصّ به لوقوعه بعده، نحو: لليلةٍ خلتْ.

أو يختصّ به لوقوعه قبله، نحو: لليلةٍ بقيت.

وذلك بحسب القرينة؛ فمع الإطلاق يكون الاختصاص بوقوعه فيه.

ومع قرينةٍ نحو: خلت، يكون بوقوعه بعده.

ومع قرينةٍ نحو: بقيت، يكون بوقوعه قبله.

وتقول في الليلة الثانية: كتبت للّيلة الثانية من كذا... وعلى هذا القياس إلى آخر الشهر.

وإن وقع الفعل في الليل، ولم يقصد إلى ذكر وقوعه فيه، جاز أن يكتب فيه ما يكتبه في الأيام؛ وذلك أنك تقول في ثاني الأيام: لليلتين خلتا. وفي ثالثها لثلاث ليالٍ خلَون، وكذا إلى عشر ليالٍ خلَون. ويجوز: لثلاث ليالٍ خلتْ، إلى عشر ليالٍ خلتْ، والأول أولى؛ ليرجع النون الذي هو ضمير الجمع إلى الجمع. وفي الحادي عشر: لإحدى عَشْرة ليلةً خلت، إلى أن تكتب في الرابع عَشر: لأربع عَشْرَة ليلةً خلت، ويجوز: خلَون، حملًا على المعنى، والأول أولى مراعاةً للفظ.

وتَكتبُ في الخامسَ عَشَرَ: للنّصف من كذا، وهو الأولى من قولك: لخمس عشرة ليلة خلت، ومن قولك: لخمس عشرة ليلة بقيت أو بقين، ومع جوازهما أيضًا، وذلك لأن الأول أخصر منهما.

وفي السادسَ عَشَرَ: لأربع عَشْرةَ ليلة بقيت أو بقين. وبعضهم يقول من الخامس عشر إلى الأخيرة: إنْ بقيت، لتجويز نقصان الشهر، إلى أن يكتب في

العشرين: لعشر ليالٍ بقين، وهو أولى من بقيت كما ذكرنا، مع جوازه أيضًا، إلى أن يكتب في الثامن والعشرين: لليلتين بقيتا. وفي التاسع والعشرين: لليلةٍ بقيت، وفي الليلة الأخيرة: لآخر ليلة منه، أو: سلخه، أو: انسلاخه.

وفي اليوم الأخير: لآخر يومٍ من كذا، أو سلخه، أو: انسلاخه»[1].

ويعود الأستراباذي إلى تأكيد بقاء اللام في كل ذلك للدلالة على الاختصاص فيقول: «وقيل تجيء - أي اللام - بمعنى (في) وبمعنى (بعد) وبمعنى (قبل) في قوله تعالى: ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ﴾ [آل عمران: ٩]؛ أي: في يوم وكتبته لثلاث خلون، أي: بعد ثلاث، ولثلاثٍ بقين، أي: قبل ثلاث. والأولى بقاء الثلاثة على الاختصاص»[2].

ونقول إنه لـمّا كان الاختصاص إذا أطلق عامًّا يصحّ أن يأتي في كثير من المواضع ولكثير من الأشياء، وذلك كقولنا: البساط للمسجد، والمفتاح للباب، والسّرج للحصان، والجنّة للمتّقين، فهذه اللام في كل هذه الأمثلة ونحوها تفيد الاختصاص، بل إن من النحويين من يضمّ الاستحقاق إلى الاختصاص، ولا يرى داعيًا إلى التفريق بينهما في الدلالة، فإن تسمية اللام المختصة بالوقت بلام التوقيت أكثر دقّة وأوضح دلالة، وهي اللام التي تأتي بمعنى (في، وعند، وقبل، وبعد) الدالة على الظرفية الزمانيّة. ونرى أنه كلما كان الاسم أدلّ على وظيفة المسمَّى كان أدقّ وأوضح، وقد رأينا أن من عدّد لـ (اللام) نيّفًا وثلاثين معنىً، استطاع أن يعيدها كلّها إلى عَشَرَة معانٍ! ثم قال إنه يمكن أن تجمع اللامات كلها في معنيين لا ثالث لهما، وهما:

(١) الأستراباذي، شرح الكافية ٢: ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) الأستراباذي، شرح الكافية ٢: ٣٢٩.

الأصلية والزائدة، وذلك هو قول الزجاجي صاحب كتاب (اللّامات)[1].

إن لام التوقيت، لام مختصة بالدلالة على الوقت؛ تكون فيه، وتكون قبله، وتكون بعده، وهي لام جارّة تدخل على ظرف زماني أو ما ناب عنه أو حمل معناه نحو كلمة (أول) في قولنا: لأوّل السنة.

وقد جاءت في القرآن في ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الحشر: ٢].

وجاءت محتملة لها في آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤].

وقوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق: ١].

وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وغيرها.

كما جاءت لام التوقيت، كما يدلّ عليه اسمها، للدلالة على التأريخ في نهايات الكتب والمخطوطات من التراث.

* * *

(١) انظر ما سبق في ص ٥٣، وكتاب اللّامات للزجاجي، ص ١٥٠.

همزة التمكين
سقى وأسقى، وقبر وأقبر
وأمثالهما في القرآن

لقد وصلت اللغة العربية إلى مرتبة عالية جدًّا من التفريق بين المعاني الدقيقة فيما بين الكلمات بل المترادفات، بإشارات لطيفة؛ إنها استطاعت أن تفرّق بأساليب بلغت الغاية في اللّطف والدقّة سواء أكانت الدقّة في المعنى أم في اللفظ. وكانت كلّ إشارة من حركة على حرف من بناء الكلمة، أو من زيادة حرف على البناء، دليلًا على فرقٍ في المعنى بين البناءين.

إن كلمة (تمور) إذا قرأتها أو نطقتها بضمّ التاء كانت جمعًا للتمرة ودالّة على جنس التمر، وإذا قرأتها أو نطقتها بفتح التاء كانت فعلًا مضارعًا من مار يمور، بمعنى ماج واهتزّ واضطرب، كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

وإن الهمزة إذا أدخلتها على بعض الأفعال نقلت دلالتها من معنًى إلى معنى! وإن المعاني التي تدلّ عليها الهمزة زادت على العشرة، ولكلٍّ منها موضع. ومن هذه المعاني التي تغيّر الهمزة فيها دلالة الفعل، أنها إذا دخلت على بعض الأفعال، نقلت دلالتها من فعلٍ يقوم فاعله به، إلى فعلٍ يدلّ على أن الفاعل جعل غيرَه يقوم بالفعل، مثل: (سقى) و(أسقى)؛ فسقاه الماءَ يعني

أنه قدّم له الماء ليشرب، وأمّا أسقاه فيعني أنه جعل له ماءً يشرب منه، كما لو حفر له بئرًا، أو أجرى نهرًا قرب أرضه، أو مدّد له أنابيب توصل الماء إلى بيته، وهذا هو الفرق في مثل هذا البناء بين صيغتي فعل وأفعل.

فبناء (فعل) يدلّ على أن فاعله قام به، وبناء (أفعل) يدلّ على أن فاعله أقدر غيره على فعله، أو مكّنه من فعله، لذلك سُمّيت هذه الهمزة التي زيدت على (فعلَ) فأصبح (أفعلَ) بهمزة التمكين أو الجَعْل لأنها تدلّ على تمكين الفاعل لغيره من أن يقوم بالفعل.

ولكن هذا المعنى ليس صحيحًا في كل فعل يأتي على وزن (أفعل) لأن الهمزة كما ذكرنا لها معانٍ كثيرة تدلّ عليها، والتمكين واحد منها، لذلك لا يجوز القياس في الأبنية، بعضها على بعض؛ لأن ذلك يؤدي إلى التباس المعاني وتداخلها. وقد حذّر الأصوليون من اللغويّين من القياس في باب الأبنية، وقالوا إنه لا يستعمله إلّا الضَعَفَة من النحويّين!! كما نبّهوا على أن (فعل) و(أفعل) لا يأتيان بمعنى واحد من قبيلة واحدة، فإذا تواردا بمعنى واحد كانا من لهجتين مختلفتين. قال العسكري في كتابه (الفروق): «لا يجوز أن يكون (فعل) و(أفعل) بمعنى واحد، كما لا يكونان على بناء واحد، إلّا أن يجيء ذلك في لغتين، فأما في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما ظن كثير من اللغويين والنحويين»[1]...

ولذلك كان الأصمعيّ لا يقبل أن تكون كلمتان على بناءين مختلفين بمعنى واحد وقد سمع مرّةً قول لبيد:

---

(١) الفروق لأبي هلال العسكري: ١٥.

سقى قومي بني مجدٍ وأسقى نميرًا والقبائل من هلال[1]

فقال: «أتّهم هذا البيت من شعر لبيد، وأُنكرُ أن يكون مطبوعٌ يتكلّم بلغتين في بيت واحد»[2]. إن الأصل العامّ عندهم أن كون العبارات والأسماء مختلفة يوجب اختلاف المعاني[3] وقولنا: (فعلت) يفيد خلاف ما يفيد (أفعلت) في جميع الكلام، إلّا ما كان ذلك في لغتين. فقولك: سقيت الرجل يفيد أنك أعطيته ماء يشربه، أو صببت ذلك في حلقه، وأسقيته يفيد أنك جعلت له سقيًا أو حظًّا من الماء[4].

وقد اهتم بعض اللغويين ببناءي (فعل) و(أفعل) فخصّوهما بالتأليف حرصًا على بيان ما يتفقان فيه من المعنى وما يختلفان فيه، وما يختصّ كل منهما به. فوضع أبو حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) كتاب «فعلت وأفعلت»، ووضع في العنوان نفسه الزجاج (٣١١هـ) والجواليقي (٥٤٠هـ) ومن لم يضع منهم كتابًا مفردًا لذلك فقد نبّه على الفروق بين البناءين في كتبه كالفراء (٢٠٧هـ) وابن السكّيت (٢٤٤هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ) الذي وضع في كتابه «أدب الكاتب» عشرة أبواب للتفريق بين (فعلت) و(أفعلت)[5].

ولو كان القياس بين هذين البناءين جائزًا لما كانت لهذه المؤلفات قيمة، ولا اهتمّ للتفريق بينها اللغويّون، وقد ذكروا أن بعض ضَعَفة النحويين

---

(١) شرح ديوان لبيد تح: إحسان عباس ص٩٣. وقد استشهد به ابن جني في الخصائص، باب (الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدًا).

(٢) كتاب (فعلت وأفعلت) للزجاج. تح: رمضان عبد التواب.

(٣) الفروق للعسكري: ١٣.

(٤) الفروق: ١٥.

(٥) أدب الكاتب: ٤٣٣-٤٥٣.

فعلوا ذلك وليس قياسهم بشيء ولكنها الصنعة الغالبة؛ فإن النحو علم يقوم على القياس، وليست كذلك اللغة التي لها أبنيتها الصرفية في أفعالها، ولها أحرف الزيادة في أبنيتها، ولكل بناء معنى، ولكل حركة في البناء معنى، وإذا قيس فيها شيء على شيء تداخلت المعاني والتبست، وضاعت ميزة الدقّة في التفريق بين معاني الكلمات المتقاربة حتى قال العسكري: إن القياس بين الأبنية يؤدي إلى الفوضى في اللغة!! فسقى غير أسقى، وقبر غير أقبر. وثنى غير أثنى، وقال غير أقال. وعتب غير أعتب. وباع غير أباع. وليس لواحد من هذه الأفعال أن نقيسه على غيره فتجعل دخول الهمزة على سقى كدخولها على باع مثلًا، ولا كدخولها على قال... وهكذا.

وقد تخلط العامّة معنى (فعلت) بـ(أفعلت)، كما نبّه على ذلك ابن السكّيت في كتابه «إصلاح المنطق» فقال في باب أفعلت ممّا تنطق به العامّة بـ(فعلت) مثل: أبعت الشيء إذا عرّضته للبيع، وهو مما تتكلّم به العامّة بفعلت، يعني أنهم يجعلون (أبعت) و(بعت) بمعنى واحد[1]. ولذلك نبّه السجستاني (٢٥٥هـ) على ذلك بقوله: «ولا يقال (بعت) بمعنى (أبعت) ونقل عن أبي عبيدة قوله: أبعته بمعنى عرضته للبيع»[2].

وإن هذه الفروق الدقيقة بين المعاني المتقاربة في مثل بناءي فعلت وأفعلت، وغيرهما ممّا يظنّ ويوصف بالمترادفات هي التي دفعت أبا هلال العسكري إلى وضع كتاب في (الفروق) وبيّن ذلك في مقدّمة كتابه فقال إنه وجد نقصًا في الكلام على الفروق بين معانٍ تقاربت حتى أشكل الفرق بينها

---

(١) إصلاح المنطق: ٦٢.

(٢) كتاب فعلت وأفعلت ص١٦٣+١٦٤.

نحـو: العلـم والمعرفـة، والفطنـة والـذكاء، والإرادة والمشـيئة، والخطـأ والغلط... وهو أمر كثير المنافع؛ لأنـه يـؤدي إلـى المعرفـة بوجـوه الكـلام، والوقوف على حقائقه ومعانيه(١).

وفي اللسان يرد اختلاف الصيغتين واتفاقهمـا، ففيـه أنـه «يقـال: سـقيته لشفته، وأسقيته لماشيته وأرضه» وروي عن ابن سيده: وقبـل سـقاه بالشـفة، وأسقاه: دلَّه على موضع الماء.

وعن الليث: أسقيت فلانًا نهرًا أو ماء إذا جعلت له سقيا».

وفي القاموس المحيط: «سقاه يسقيه، وسـقّاه، وأسـقاه، وسـقاه وسـقّاه بالشفة، وأسقاه: دلّه على الماء أو سقى ماشيته وأرضه»(٢). ويوضح صاحب المحيط قوله في «بصائر ذوي التمييز» فيقول: «السقي والسقيا: أن تعطيه مـا يشرب، والإسقاء: أن تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء.

والإسقاء أبلغ من السقي؛ لأن الإسقاء هو أن تجعل لـه مـا يسـتقي منـه ويشرب. تقول: أسقيته نهرًا.

ونعود إلى صيغتي (سقى) و(أسقى) في كتاب الله تعالى فنجد لكل مـن الصيغتين موضعًا هي أليق به معنًى من أختها، على نحو مـا جـاء فـي كتـاب «الفروق» و«بصائر ذوي التمييز» من الفرق بين المعنيين: فقد وردت صـيغة (سقى) في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]. وهمـا مـن (سـقى) التـي تفيد أنه يعطيه ما يشربه، وكذلك هي حيث وردت في سائر الآيات.

---

(١) كتاب الفروق: خطبة الكتاب ص٩.

(٢) القاموس المحيط: سقي.

ووردت صيغة (أسقى) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ [النحل: ٦٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩].

كما وردت في آيات أخرى.

وصيغة (أسقى) في هذه الآيات كلها تدل على خلق الماء وجعله لإسقائهم وإسقاء أرضهم ومواشيهم.

ففي الآية الأولى جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أي عذبًا، بعد قوله: ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ فكان جعل الجبال الشامخات للإرساء مناسبًا لجعل الماء العذب للإسقاء، وهو كقوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ [النمل: ٦١].

وكذلك جاء قوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ أي لجعلنا لهم ماء غزيرًا يتسع به عيشهم.

وقوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ أي نجعل لكم اللبن الصافي الذي تستخرجونه من بين الفرث والدم. وقوله تعالى: ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ أي جعلنا الماء الطهور الذي أنزلناه من السماء لإحياء البلاد وإسقاء الخلق من الأنعام والناس، وهو كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ

تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠-١١].

ونرى أن الهمزة في صيغة (أسقى) تفيد التمكين أي الإقدار على الشيء وجعل البشر قادرين على شرب الماء واستخراجه وإسقاء أراضيهم ومواشيهم. وهذه الهمزة في (أسقى) مثلها في (أقبر) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١] فإن (قَبره) بمعنى دفنه، وأما (أقبره) فبمعنى جعل له قبرًا، أو أمر بقبره، «قال الفراء: «ثم أماته فأقبره، أي جعله مقبورًا أي ممن يُقبر، ولم يجعله ممن يُلقى للطير والسباع. والقابر هو الدافن بيده، والمُقبر هو الله؛ لأنه صيَّره ذا قبر» وأقبرته: أمرت أن يُقبر، وأقبر القومَ قتيلَهم: أعطاهم إياه يقبرونه. وقال أبو عبيدة: قالت بنو تميم للحجاج، وكان قتل صالح بن عبد الرحمن: أقبرنا صالحًا، أي إئذن لنا في أن نقبره»[١].

وفي مختار الصحاح: «قيل: سقاه لشفته، وأسقاه لماشيته وأرضه»[٢] وفيه «قبرَ الميّتَ: دفنه. وأقبره: جعل له قبرًا يُدفن فيه، أو أمر بأن يقبر. ثم أماته فأقبره أي جعله ممن يُقبر ولم يجعله يُلقى للكلاب»[٣].

فهذه الهمزة في أسقى وأقبر، تفيد التمكين، فإذا قلنا: حفر فلان بئرًا، فالمعنى أنه حفرها بنفسه. وإذا قلنا: أحفر فلانًا بئرًا فالمعنى أنه أعانه على حفرها[٤] وكذلك: كتب الشيء يكتبه كتبًا وكتابًا وكتابةً، وأكتبه: علّمه

(١) اللسان: قبر.

(٢) مختار الصحاح: سقي.

(٣) مختار الصحاح: قبر.

(٤) تاج العروس: حفر.

الكتاب، فالإكتاب: تعليم الكتابة، والمُكتِب: المعلّم. قال الحسن: كان الحجاج مُكْتِبًا بالطائف، يعني معلِّمًا»[1].

* * *

(١) لسان العرب: كتب.

خاتَم وخاتِم

السؤال كما جاءنا: «هل إذا أضيفت كلمة (خاتم) إلى جمع مذكر سالم للعقلاء تأتي بمعنى آخر فقط؟ مثال: خاتم الشعراء - خاتم الرجال - خاتم القضاة، أو أنها قد تأتي بمعان أُخرى مثل أفضل وأكمل؟

الجواب:

لتفسير الكلمات وشرح معانيها أصول لا بدّ من معرفتها واتّباعها. وإلّا قال من شاء ما شاء! ومن أهم هذه الأصول:

١- إذا كانت للكلمة الواحدة معان متعدّدة مختلفة، فليس معنى ذلك أنّ كلّ معانيها صالحة ملائمة لكل موضع تستعمل فيه تلك الكلمة.

٢- حين تكون الكلمة مفردة خارجة عن النصّ يمكن تعداد معانيها، كما هو الشأن في إيراد معاني الكلمة في المعاجم. وأما حين تكون واردة في نصٍّ ما فلا بدّ من الرجوع إلى النصّ لمعرفة السياق الذي وردت فيه والاستئناس به لمعرفة المعنى المراد منها في سياقها.

٣- إذا كانت الكلمة (قرآنية) نحو كلمة (خاتم) في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

[الأحزاب: ٤٠] فإننا نختار من معانيها المعنى المناسب للنصّ بحسب سياقها فيه، ثم ننظر في أشباهها في القرآن نفسه؛ لأن القرآن يفسّر بعضه بعضًا، فإن لم نجد في القرآن لجأنا إلى الصحيح الإسناد من الحديث النبويّ؛ لأن السنّة مفسّرة للقرآن.

٤- لا يمكن أن نجد لكلمة واحدة في القرآن معنيين متناقضين ولا مختلفين لأنه كتاب من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٥- (ختم) في اللغة:

خَتم الشيءَ: أتمّه وبلغ آخره. ومنه ختم فلان القرآنَ.

ختم على الرسالة: طبع عليها الخاتَم، أي نقش عليها الخَتْم إشعارًا بانتهائها وحرصًا على صونها من الزيادة عليها.

قال الزجاج: ختم وطبع بمعنًى واحد.

الخاتِم: آخر الشيء، وكذلك: الخاتَم، وهو اسم كالعالَم، وهما أي بفتح التاء وكسرها لغتان بمعنى واحد مثل طابَع وطابِع.

والخاتم: ما يُختم به، أي ما يطبع به الخَتْم على الورق.

والخاتم من الحلي ما تُزيّن به الأصابع.

والخِتام والخاتمة: آخر الشيء ونهايته.

وقال ابن جنّي: «لنا في ذلك لغتان مثل: دانَق ودانِق وخاتَم وخاتِم وطابَق وطابِق»[1].

---

(١) الخصائص ٣: ١١٩.

٦- جاء في معجم تاج العروس:

«الخاتم من كل شيء عاقبته وآخره كخاتمته. والخاتَم آخر القوم كالخاتِم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. أي آخرهم، وقول العَجَّاج:

مباركٌ للأنبياء خاتم».

وفي التاج أيضًا:

«ومن أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم الخاتَم والخاتِم، وهو الذي ختم النبوَّة بمجيئه».

٧- وقد جاءت الأحاديث النبويّة شاهدةً لهذا المعنى وحده:

فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرسالة والنبوّة انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبيّ» - رواه أحمد -.

وروى الشيخان البخاري ومسلم قوله ﷺ: «إن لي أسماء؛ أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبيّ».

وعلى هذا نقول:

إن «خاتم النبيين» في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] تعني معنًى واحدًا هو أنه آخرهم.

ويتأكّد هذا المعنى بقوله تعالى في آخر ما نزل من الوحي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فلأي شيء يُبعث الرسول أو النبي إذا لم تكن ثمة رسالة أو دين؟ ثم إنّه

لم يرد في القرآن أنه ﷺ زينة الأنبياء؟! وهل نعبّر عمّن نصفه بأفضل الناس وأكملهم بأنه (خاتمهم)؟! وهل مدح العرب أحدًا من عظمائهم فجعلوه خاتمًا في إصبع؟ إنها كناية حاشا لرسول الله أن يتصف بها، ولكنه فيما أرى تفسير غير صحيح يميل إليه الذين يؤيّدون أدعياء النبوّة الكاذبة قديمًا وحديثًا، ويدخلون على الناس من باب التدليس والتلبيس مدّعين أنه ﷺ زينة الأنبياء وأكملهم، ويسقطون وصفه بأنه آخرهم وخاتمهم وأنه لا نبي بعده، ليستخرجوا أوراق قيد نفوس مزوّرة لأدعياء النبوّة من بعده في كل عصر اقتداء بمسليمة الكذّاب، وبمن بعده من الكاذبين وقد قال ﷺ: «لو كان في الناس محدَّثون لكان عمر، ولكنْ لا نبيّ بعدي».

* * *

مع تفسير ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

- نشزت المرأة: استعصت على زوجها، وأبغضته، أي أنه يعني العصيان وعدم الطاعة مع الكراهية.

والهجر والهجران: الترك، والصرم، والقطيعة.

إنّ الناس يختلفون طباعًا، والنفوس منها ما يتصف بصفات السادة، أو الأحرار، أو المسالمين، أو المحبين للطاعة والوئام، ومنها نفوس تتصف بالنشوز وحبِّ التمرد والمشاكسة والعصيان. وكذلك هو شأن الرجال من أحرار وعبيد، وشأن النساء من ذوات الكبرياء أو الطيّعات المحبّات للطاعة والتسليم.

وقد جاءت الآية القرآنية موافقة لكلِّ تلك الطباع البشرية، فسارت في التربية ملائمة لتلك النفوس، فمن كانت من النساء المحبات للوئام ولبقاء الأسرة فإنه يُكتفى معها بالنصيحة والوعظ (فعظوهن). ومن كانت لا تكتفي بالنصح والوعظ فتؤدَّب بهجرها ومقاطعتها (واهجروهن). ومن النساء والرجال كذلك من لا يؤدَّب إلا بالشدّة التي قد تصل إلى حدِّ الضرب:

العبد يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة

لذلك قال المتنبي عن أمثال هؤلاء:

لا تشترِ العبد إلّا والعصا معه إنّ العبيد لأنجاس مناكيد

ونحن نعلم أن من الناس رجالًا ونساءً من إذا لطمته قتلته وقضيت عليه. والحكيم من الناس من يعرف لكل وضعٍ ما يحتاج إليه، ولكل مشكلة حلّها، ولكل نفس ما يناسبها لذلك قال ربنا: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة في كل الأوضاع والأحوال إنما تكون في عدم التسرّع، وفي جعل العلاج متدرِّجًا كما هو العلاج في الآية الكريمة؛ وهو نصح ووعظ وكلام مؤثِّر، ثمّ مقاطعة وهجر وجفاء، ثمَّ ضرب (غير مبرّح، ولا يصيب الوجه) لمن يستحقه، فإذا ضرب رجل امرأة وهي لا تستحق فهو لئيم لأنه «ما أهان المرأة إلا لئيم» وليس في سيرة النبي الكريم أنه رفع يده على امرأة أو خادمة، بل كان يقول: «خياركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، وكان لا ينسى التوصية بالنساء حتى في خطبة حجة الوداع التي أودع فيها آخر وصاياه للمسلمين؛ فقد أوصى فيها بالرفق بالنساء.

وهكذا فمن كان ذا نفس كريمة فلا يمكن أن يُضْرَب، ومن كان لا يُصلحه إلا الضرب فليُضرَب، سواءٌ أكان رجلًا أم امرأة، لأن الضرب خير من الطلاق وخراب الأسرة وتشريد الأولاد، ولا يصحّ أن تقيس كل امرأة الضرب على نفسها إن كانت أبيّة أو كريمة، فليست كل النساء كذلك. فما كل النساء يضربن أو يجوز ضربهن، ولا كل الرجال يَضربون أو يصلون إلى مرحلة رفع اليد على امرأة، وإن ذلك إن وقع فوقوعه خير من وقوع العقوبة على الأسرة بجميع أفرادها.

لـذلك جـاء التعبيـر القرآنـي دقيقًـا وبليغًـا، فقـال: «واللاتـي تخـافون نشوزهن»، ولم يقل واللاتي نشزن، فوضع العلاج احتياطًا لعدم وقوع الكارثة.

وليس حقًّا أن يسارع مـن لا يعـرف أسـاليب العـرب فـي التعبيـر، ولا أوضاع اللغة واختلاف الدلالات للكلمة الواحدة؛ أن يسارع إلى التفسير أو التأويل مجاملة للمرأة، وتقربًـا مـن الاتحـاد النسـائي، أو حبًّـا كمـا يـدَّعون بالتقرب من المجتمعات الغربية التي تتهم الإسلام إذا ضرب الرجـل امرأتـه بعدم الإنسانية، ونحن نرى في بلاد الغرب وفي قـيم حضـارتهم أنواعًـا مـن القتل لا الضرب للآلاف من الرجال والنساء والأطفال من أبرياء العالم فـي كل بلد بدءًا من هيروشيما وناغازاكي وانتهاءً بما يجـري الآن فـي كثيـر مـن بلدان العرب والمسلمين.

إنّ الوحشية والشراسة والقسوة بلغـت فـي كثيـر مـن النفـوس الآمـرة الناهية في العالـم ما لـم تبلغه عند الحيوانات المفترسـة مـن ذئـاب وثعالـب. أفلا يتفضل الذين يخافون علـى الإسـلام أن يُتهم بـاللا إنسـانية إذا ضـرب رجل امرأة- وقـلّ أن يقـع ذلـك- ولا تـرى أعيـنهم خـروج الأمـم بقادتهـا وبرلماناتها ومجالس الكونغرس واللوردات وغيرها من الإنسانية حين تتخذ قراراتٍ مبيدةً للشعوب، ألا يرون التجـرّد مـن الإنسـانية فـي اسـتعمال حـق الـنقض (الفيتـو) فـي أدنـى السـعي لتحقيـق الحقـوق الإنسـانية للشـعوب المستضعَفة، بل ألا يرون في شوارع العالم كلها كيف يضرب رجـال الأمـن الشبانَ والرجال والنساء بالعصـيّ والهـراوات الغليظـة ضـرب الوحـوش؟! وهم يفعلون ذلك بدءًا قبل النصح، وقبل الوعظ، وقبل السـجن. أهـذا ممـا يجوز السكوت عليه وغض النظر عنه والخوف من انتقـاده؟، علـى حـين أن

الضرب غير المبرح، ولامرأة واحدة ناشزة، وبأمرٍ من ربّ العالمين يجرح شعور الذين يتباكون على الإنسانية!!.

إذا أمر الله بالضرب فهو أعلم وأحكم، وهو فعّال لما يريد، وهو لا يُسأل عما يفعل، وليس في حاجة إلى تبرير أوامره، فليُرحْ نفسه من لا يعرف أساليب العربية في التعبير، وليرح نفسه من الدفاع عن - الله - فالله سبحانه غنيّ عن العالمين.

ونأتي بعد ذلك كله إلى التفسير اللغوي لـ (ضرب) لنسأل الذين قالوا: إنّ ضرب بمعنى هجر، من أين جاؤوا بهذا التفسير؟ ونقول:

١- إنّ الذي يفسّر كلمة في نصٍّ معتمدًا في تفسيره على استعمال الناس لها، أو على معجم لغوي قد يكون واهمًا في تفسيره؛ لأن المعجم يورد للكلمة الواحدة عدّة معانٍ، فهل يجوز للمفسّر أن يختار منها ما يحلو له من معانيها؟! إنّ سياق الكلمة في النص هو الذي يساعد على تحديد معناها.

٢- إنّ الذي لا يعرف دلالات الحروف التي تتعدّى بها الأفعال، لا يوثق بتفسيره لأن لكل حرف معنىً، ومعناه يؤثر في معنى الفعل قبله، وأضرب فيما يأتي مثالًا يوضّح ذلك:

إنّ فعل (فزع) معناه (خاف) - فهل هي كذلك أينما وردت؟

إنّ قولنا: فزع منه، معناه: خاف منه. وهذا صحيح، ولكن:

هل: فزعت على فلان، معناه: خفت منه؟ إنها على عكس ذلك، تعني خفت عليه، أو أشفقتَ عليه!

وهل: فزعت إلى فلان، يعني خفت منه؟! إنها تعني لجأت إليه.

وهل: فزعت لفلان، تعني خفت منه؟! إنها تعني ناصرته وأيّدته.

وهكذا يختلف معنى الفعل بحسب معنى الحرف الذي يتعدّى به، ولننظر الآن إلى فعل (ضَرَب) واستعماله في اللغة العربيّة:

١- ضرب الشيءُ: تحرّك. وضرب القلبُ: نبض.

٢- ضرب العِرقُ: هاج دمه، واختلج.

٣- ضرب الضرسُ: ثار وجَعُه.

٤- ضرب الرجلُ أجيرَه: أوقع الضرب عليه.

٥- ضرب في الأرض: ذهب وأبعد، نهض وأسرع، سافر ...

٦- ضربت العقرب فلانًا: لسعته.

٧- ضرب له في ماله سهمًا: جعل له نصيبًا منه.

٨- ضرب عليهم الجزية: فرضها. ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

٩- ضرب عليهم الحِصار: حاطهم وضيَّق عليهم.

١٠- ضرب الخيمة: نصبها. قال الفرزدق:

ضربتْ عليك العنكبوتُ بنسجها وقضى عليكَ به الكتابُ المنزَل

يريد أنك مقيم في الذلّ والضعف، ولعله صدًى في ذاكرة الفرزدق لقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]. يريد أنك في بيت واهن كبيت العنكبوت ذلًّا وضعفًا.

١١- ضرب الحليب بالماء: خلطه.

١٢- ضرب بذقنه الأرض: أطرق حياءً وخجلًا.

١٣- ضرب له الأرض كلّها: طلبه في نواحي الأرض كلّها.

١٤- ضرب الرقم القياسيّ: بلغ في الأمر ما لم يبلغه أحدٌ قبله.

١٥- ضرب في البحر: سبح.

١٦- ضرب في الأمر بسهم: شارك فيه.

١٧- ضرب الفحلُ الناقةَ: أتاها.

١٨- ضرب الرجل عن الأمر: كفَّ عنه وأعرض. ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف: ٥].

١٩- ضرب اللّون إلى الحُمرة: مال اللّون إليها.

٢٠- ضرب بيده إلى الشيء: أشار بها إليه.

٢١- ضرب على الرسالة: ختمها.

٢٢- ضرب على أذنه: جعل النوم يغلب عليه ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: ١١].

٢٣- ضرب على يده: أمسك ومنعه من العمل.

٢٤- ضربه بالسيف: أوقعه عليه.

٢٥- ضرب الدَّهر بين القوم: باعد بينهم وفرَّقهم.

٢٦- ضرب به عرض الحائط: احتقره وأهمله.

٢٧- ضرب الدرهم: سكّه وصاغه.

٢٨- ضرب له مَثَلًا: ذكره ومثّل به.

٢٩- ضرب عددًا بعدد: كرّره بقدره.

٣٠- ضرب له موعدًا: عيّنه وحدّده.

وهكذا يختلف معنى الفعل بمعنى الحرف الذي يستعمل معه، وهذا هو معنى قول علماء النحو إنّ الحرف هو الذي يكون معناه في غيره.

وعلى هـذا ففعـل (اضـربوهن) لـيس معنـاه واحـدًا مـن المعـاني التـي يستعمل لها الفعل نفسُه إذا تعدّى بحرف من حروف الجـرّ كمـا رأينـا؛ فهـو ليس بمعنى (ضرب في الأرض، أي ابتعد وهاجر)، وكيف يكـون فـي الآيـة بمعنى (ابتعد وهجر) وقد جاء في الآية نفسـها وقبلـه مباشـرة قولُـه تعـالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤]؟!

أليس الهجر نفسه ابتعادًا ومفارقة؟ فلماذا يتكرَّر الفعلان إذا كانا بمعنـى واحد؟

وبعدُ،

فليتَّقِ الله من يحاول التفسير أو التأويل إرضاءً لأحدٍ أو لطائفةٍ أو لـرأي شاع أو لرأي يراه .. وليعلمْ أنه لا يفسّر جملة لأديـبٍ أو بيتًـا لشـاعر، وإنمـا يتجرّأ على الله، ويفتئت عليه. ورحمة الله على الإمام مالك؛ فقد كان يقـول: «لا أوتى برجلٍ غيرِ عالمٍ يفسِّر كلام الله إلا جعلته نكالًا.»

ويقول الإمام المفسّر مجاهد: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخـر أن يتصدّى للكلام في كتاب الله وهو لا يعرف لغات العرب.»

وقد استعملت كلمة (ضرب) ومشتقاتها وبأزمنة الفعل المختلفة في القـرآن نيّفًا وخمسين مرّة، وبمعانٍ مختلفة، ولست أستبعد أن يأتي واحد من المفسِّـرين المحدَثين المبتدعين لا المبدعين ليقول غدًا: إنّ قوله تعـالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] يعني أن يُبعدن الخمار عـن العنـق وأعلـى الصـدر، لأن «يضربن» معناها: يُبعدن، قياسًا على «اضربوهن» أي اذهبوا بعيدًا عنهنّ!!

فليَّتقِ الله من يسارع إلى تفسير كلمة أو آية من كتاب الله بحسب ما يراه إرضاء لهواه، أو لهوى أحـد، أو لمسـايرة الـرأي العـام، فإنـك ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي

ﵟٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚﵞ [الأنعام: ١١٦]، وليترك التفسير والفتوى لمن هو أهل لذلك، وليقرأ من شاء أن يعرف ثقافة المفسِّر مقدّمةَ أبي حيان لتفسيره البحر المحيط، ولينظر كم حفظ من الشعر والنصوص العربيّة جاهليّها وإسلاميّها، وكيف استوعب كتاب سيبويه وعدّه المرقاة إلى معرفة الكلام العربيّ.

وبعدُ، ففي كلّ الأحوال يجب اعتبار ما يأتي:

أولًا: لا يجوز أن يكون الضرب ابتداءً، وإنما هو أمر يُقدَّر بغايته وبوقته، وإلَّا كان بغيًا واعتداء.

ثانيًا: لا يجوز أن يكون الضرب تشفِّيًا وانتقامًا، فالأب لا ينتقم من ابنه، والزوج لا ينتقم من زوجته، لأنهما أُمرا بالسّكن، وبأن تكون بينهما مودّة ورحمة! وأيّ ضرب موجع أو مؤلم هذا الذي يجتمع مع المودّة، ومع الرحمة؟

ثالثًا: إنّ الضرب يجب أن يكون متناسبًا مع الذنب؛ فلا يزيد عليه، ولا يؤذي جسديًّا، وإلّا كان عقوبة وتشفِّيًا، وقد يؤدي إلى عكس الغاية منه.

رابعًا: الضرب غايته الإصلاح، ومعاقبة فرد من أفراد الأسرة عقوبة مؤقتة، خير من خراب البيت، وتشتّت الأسرة، وضياع الأولاد.

خامسًا: إنَّ نفوس البشر ليست متماثلة، وإنّ طباعهم متباينة، سواء أكانوا رجالًا أم نساء، وإنّ العقوبة للمسيء وللمذنب وللمجرم بقدر إساءته أو ذنبه أو جرمه، وهي التي تؤدّبه، وتردع غيره، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

* * *

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾

سورة النور: ٣١

وَلْيَضْرِبْنَ : اللّام لام الأمر. ويضربن: فعل مضارع متَّصل بنون النسوة، فتوجّه الأمر إليهن، والضرب هنا يعني التثبيت بإحكام؛ فالعرب يستعملون فعل (ضرب) لمعانٍ كثيرةٍ وبأساليب مختلفة كما رأينا[1]. ومنها التثبيت كما في كتابتهم على النقد المعدني: «ضُرب في بغداد، أو القسطنطينية... أي ثبت سكّه في ذلك المكان، وكما في قولهم: «أقام خيمةً» أو نحوها، قال الفرزدق:

ضربتْ عليك العنكبوتُ بنسجها　　　وقضى عليكَ به الكتابُ المنزَلُ

وقال عبدة بن الطبيب:

إن التي ضربتْ بيننًا مهاجرةً　　　بكوفة الجند غالتْ ودَّها غولُ

بِخُمُرِهِنَّ: الخُمُر: جمع خِمار، وهو ما تضعه المرأة على رأسها فتستر به شعرها وعنقها وأذنيها. وأكثر النساء في الأرياف يتركن فَضلةً من الخِمار تُسدل على ظهورهن.

وكان يمكن في العربية أن يقال: (يضربن خُمَرهن)، ولكنه عدّى الفعل بالباء لأنها تفيد الإلصاق، وهو الأصل في معانيها كلِّها، وذلك

(١) انظر: (اضربوهن). في ص ٨٠ و٨١.

ليكون الضرب أي وضع الخمار، أكثر تثبيتًا وتمكينًا، فلا يظهر شيء من العنق أو من فتحة الجيب تحته.

﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: على: تفيد الاستعلاء.

والجيوب: جمع جَيْب. «وجيب القميص ونحوه: طَوْقه أي فتحة الثوب التي تحيط بالعنق. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وجِبت القميصَ أجيبه: قوَّرت جيبه. وجيَّبته: جعلت له جيبًا»[١].

وفي حديث عليّ: «أخذتُ إهابًا معطونًا [فسدت دباغته] فجوَّبت وسطَه وأدخلته في عنقي». وجَيب القميص ونحوه: ما يُدخل منه الرأس عند لبسه[٢]. وهكذا فالمعنى أن الحجاب المطلوب وضع الخمار بحيث يكون ساترًا للشعر والعنق وفتحة الجيب في أعلى الصدر، وأن يكون جيّد الإحكام فلا يتخلخل ولا ينحلّ؛ لئلا يظهر ما تحته، إنه يوصي بإحكام وضع الخمار وتمام السّتر.

قال ابن عاشور: «ونُهي عن التساهل في الخِمرة... وليَشددن وضع الخمار على الجيوب، أي بحيث لا يظهر شيء من بشرة الجيد... وليضعن خمرهن على جيوب الأقمصة بحيث لا يبقى بين منتهى الخمار ومبدأ الجيب ما يظهر منه الجيد»[٣].

* * *

(١) تاج العروس (جيب).

(٢) الوسيط: جاب. ونقل التاج قول بعضهم: جيَّب وجوّب.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٩/ ٢٠٨.

الصلة بين صورة الحرف ومعناه

ادّعاء الصلة بين ظاهر الحروف المكتوبة ومعانيها أو المعاني المتوهَّمة منها أمر قديم، ألّف فيه عالم مراكشي أدرك الربع الأول من القرن الثامن الهجري، وزعم أن لكل صورة من صور الحروف معنًى، وسمّى كتابه «الكشف عن أسرار الحروف في المصحف العثماني»، وبيّن ما جاء من الحروف مختلف الصورة بين موضعٍ وموضع من آيات القرآن، وذكر لكل صورة معنى!

ولكن العلماء لم يأخذوا بذلك، وسمَّوا ذلك بالتفسير الباطني للحروف!! ولم يستطع أحد أن يأتي بدليل عقلي أو لغويّ أو شرعيّ على تلك الصلة بين صورة الحرف ومعناه.

وما قيل من أن (رَءَا) بالألف خاصةٌ بالعين دالّة على المسافة بين الرائي والمرئي، وأن (رأى) بالمقصورة تدلّ على الرؤية القلبيّة، لا يتفّق مع قوله تعالى عن سيّدنا يوسف: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ وهيَ الآية ٢٤ من سورة يوسف (١٢) إذ من يعرف المسافة بين يوسف والبرهان الذي رآه؟ وهل رأى برهان ربّه بعينه؟!!

ولا يتفق أيضًا مع ما جاء في سورة النجم (٥٣ الآيتان ١١ و١٨): ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ثم ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾!!

وفي جميع الأحوال لا يجوز اليوم شغل المسلمين بمثل هـذه الأمـور. وأجمع الأئمـة والفقهـاء علـى قبـول كتابـة المصـحف والمحافظـة عليهـا، وقالوا: إن كتاب الله لا يُقاس هجاؤه ولا يُخالف خطّه. حتى إن بعضهم كابن حنبل حرّم ذلك. ثم إن قواعد الإملاء وضعت بعد كتابة المصحف، وما زال الخلاف حول بعضها إلى اليوم.

* * *

﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾

سؤال وجواب

جاءنا السؤال الآتي:

قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾[الطلاق: ١].

لماذا قال: ﴿مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ ولم يقل «من بيوتكم»؟

الجواب:

إنّ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ جاء على وفق ما عرفت العربيّة من أساليبها في الكلام قديمًا وحديثًا، وكان أحكم قولًا، وأشمل دلالةً، وأكثر إنسانية وإكرامًا ومراعاةً لشعور المرأة المُطَلَّقة ونفسيّتها. وذلك للأسباب الآتية:

١- التملّك أو الملْك يكون على قسمين أو نوعين:

الأول: تملّكٌ أو ملك للشيءِ ذاته، كملْك بناء البيت، أو المصنع وآلاته، أو المدرسة ببنائها وما يضمّ، ويُسمَّى «مُلْك عَيْن، أو: ملك رقبة»، ويكون مالكه هو صاحبه الذي يتصرَّف به كيفما يشاء.

والثاني: «تملّك أو ملْك المنفعة». ويكون مالكه مالكًا للمنفعة منه، كالسَّكَن أو الإقامة فيه، ويملك حقَّ الانتفاع به أيًّا كان.

٢- ونحن في لغتنا ننسب إلى الملكَيْن؛ فنقول: دمشق مدينتي، والميدان

حارتي، وبيتي في الميدان، وأنا لا أملك دمشق، ولا حارتي، ولا بيتي لأنني مُستأجر، أملك الانتفاع بسَكَنه، ولا أملك بناءه.

وكذلك نقول للمخاطَب: اذهب إلى مصنعك أو مزرعتك أو مدرستك، وهو لا يملك من ذلك شيئًا إلّا الانتفاع بالعمل أو التعلُّم أو التعليم فيه. وليس يَملكه ملكَ عين.

٣- المرأة التي أصبحت الآن مطلَّقة - كما في الآية - كانت مالكةً للبيت ملكَ مَنفعةٍ، فكانت تبيتُ فيه، وتُقيم وتسكن فيه، بل كانت كما يسمِّيها العرب، ونسمِّيها اليوم «ربَّة البيت». لذلك خاطب الله نساء النبيّ بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وبيوتهنّ هي بيوت النبيّ ﷺ، ومثل ذلك قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤]؛ فهنّ يملكنها ملك منفعة لأنّهن يُقمن فيها.

أفليس الأكرم لها والألطف لشعورها أن نقول: لا تخرجوها من بيتها، ما دامت كانت تملكه ملك منفعةٍ. وأكثر المفسّرين على أن قوله سبحانه: ﴿بُيُوتِهِنَّ﴾ لتأكيد النهي عن إخراجهنّ.

٤- ثم لعلّ الرجل المُطلِّق نفسه لا يملك البيت إلّا كما تملكه زوجته، فهو مستأجر له يملكه ملكَ الانتفاع ولا يملكه ملكَ عَين! وبذلك تكون الملكية مشتركة بينهما، لأنها لكليهما ملكيّة منفعة، ولا يكون أحدهما حين كانا زوجين متميِّزًا عن الآخر بملكيّته، بل إنّ كلًّا منهما يملك البيت ملكَ منفعة.

فسبحان من علّم القرآن، وعلّم البيان. ونسأله تعالى أن يرزقنا فهم كتابه. والحمد لله ربّ العالمين.

مشى وسعى وسارع وفرَّ
في القرآن

ما قرأت كتاب الله يومًا إلَّا وقعت فيه على شيء جديد، لم أكن متنبِّهًا إليه من قبل! وإخال أن ذلك سيستمرّ ما استمرّت قراءتي وامتدّت حياتي، ففي كتاب الله كلَّ يوم شيء جديد، فهو كما وصفه رسول الله ﷺ كتاب لا تنقضي عجائبه ولا تَبلى جِدَّته.

وأضيف إلى هذا الجديد المعجز إعجازًا أبلغ، هو أن الجديد المستمرّ والمتجدّد الذي لا ينقطع لا يخالف أو يعارض جديدًا جدّ من قبل!

إن ما جدّ مثلًا عند من عاش منذ مئة سنة، وأصبح قديمًا عندنا، لا يعارضه ما عرفناه من جديد اليوم... وهكذا تتجدّد الجِدّة وتنقضي المدَّة، ويبقى الجديد ويستمرّ التجديد، ولا يخالف شيء منه شيئًا مهما تباعد الزمان... وسبحان من قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

لقد لفت نظري استعمال أفعال بأعيانها في مواضع بأعيانها؛ فإن أفعال (مشى، وسعى، وسارع، وفرَّ) كلها أفعال فيها سَيْرٌ وفيها حركة، ولكن انظر إلى حيث جاءت من مواضعها في كتاب الله تجد أن الحركة أو السير إلى طلب الرزق، وإلى التسوّق يجب أن تكون مشيًا، وهو الحركة الهادئة المتأنية التي يحتاج صاحبها إلى النظر والبحث، فإذا طلبت الرزق فامشِ

إليه، وإذا كنت متسوّقًا فامشِ، لأن كلا الأمرين يحتاج إلى تمهّل ونظر.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وهكذا لمّا كان الأمر يحتاج إلى اعتدال في السير فقد أوحى تعالى بقوله على لسان لقمان: . ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩] أي: اعتدل وتوسَّط فيه.

ولا تظنن أن إسراعك في طلب الرزق أو اللهاث وراءه سينفعك أو يزيد من رزقك؛ ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]. ولو اجتمع أهل الأرض على أن يعطوك شيئًا لم يكتبه الله لك فلن يستطيعوا، ولو اجتمعوا على أن يمنعوا الرزق المكتوب لك فلن يستطيعوا؛ فهو سبحانه المعطي وهو المانع. وهو القائل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢]. وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، أي يقدِّر أو يقتّر، فحسبك أن تطلب وسيأتيك ما قسمه الله لك.

وأما إذا كان المشي بقصد الصلاة، وهي ذات وقت معيّن محدود، فعلى المرء أن (يسعى) سعيًا لإدراكها. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

وكذلك طلب الآخرة وما أعدّه الله فيها لعباده المتّقين يحتاج إلى

(سعي) صادق لإدراكه وبلوغه. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

وإذا كان السعي من أجل المغفرة، ومن أجل بلوغ الجنّة، فذلك أمر يحتاج إلى السرعة بل إلى المنافسة بالمسارعة، قال جل جلاله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ووصف زكريّا ويحيى عليهما السلام بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وكذلك وصف طائفة من عباده المشفقين من خشية ربّهم، والمؤمنين بوحدانيّته بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وحين أراد سبحانه أن يعبِّر عن الإقبال على الله والدعوة إليه، قال على لسان رسوله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]. فعبّر بقوله ﴿ فَفِرُّوٓاْ ﴾ عن الفرار والهروب من شوائب الحياة الدنيا وضلالاتها، والهرب من عذاب الله وعقابه، وعن الفرار إلى الملجأ الذي لا ملجأ سواه، إلى الله وحده بقوله: «فرّوا» أي: فِرّوا من عذابه إلى رحمته. وكلاهما في حاجة إلى أشدّ الهرب والفرار.

وهكذا كان البيان الإلّهي في وضع كلٍّ من المشي والسعي والإسراع والمسارعة والفرار في الموضع الذي لا يغني عنه فيه غيره.

ولو تتبَّعنا كثيرًا مما ورد في كتاب الله من أسماء وأفعال وصفات، لوجدنا مثل ما وجدنا هنا في مشى وأخواتها، كل كلمة حلّت في الموضع الذي لا يحسن فيه غيرُها، ولو كان بمعناها! وسبحان من جعله ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فُصِّلت آياته من لدن حكيم خبير.

وقفة لغوية مع «سورة الناس»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

لقد تكرّرت كلمة (النّاس) في هذه السورة القصيرة التي لا تتجاوز السّطرين خمس مرّات.

١- هل كلمة (الناس) مكرَّرة بمعنًى واحدٍ، أو دلالة واحدةٍ في المرّاتِ الخَمس؟

٢- لماذا لم يُعطف بحرف العطف كلٌّ من ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ و﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ على ما قبله؟

٣- لماذا كُرِّر الاسم الظاهر، ولم يَنُبْ عنه ضميره، ولم يُقل: (ربِّ الناس ومَلِكهم وإلَهِهم)؟

هذه الأسئلة هي التي دعتني إلى التأمّل في هذه السّورة، ومحاولة الوقوف على ما فيها من ظواهر لغوية تعبيريّة تلفت النظر، وقد وصلت – بحمد الله وفضله – بعد التفكير في أسلوب التعبير في هذه السّورة إلى ما يأتي بيانه:

يمرّ الإنسان في حياته بثلاث مراحل يتميّز بعضها عن بعض بكثير من الخصائص والصفات.

أما المرحلة الأولى، فهي مرحلة الخَلق الأولى، التي يكون الإنسان فيها نطفةً فعلَقة فمُضغة فعظامًا – ثم تُكسى باللحم، ويُنفخ فيه الروح، فيصبح جنينًا ثم وليدًا رضيعًا، ثم طفلًا ينمو حتى يقف على عتبة الشباب في مرحلة البلوغ والمراهقة.

وأما المرحلة الثانية، فمرحلة المراهقة والفتوَّة والشّباب، وهي مرحلة يتمّ فيها اكتمال جسمه، ويتطلّع هو فيها إلى الرجوليّة التي تصبح هدفًا يسعى إليه وإلى الظهور بمظهرها، ويروح يقلِّدها بكثير من مظاهرها في سلوكه وتصرّفاته، إنها مرحلة تكتمل فيها القوّة ومظاهرها، والعَظَمة وما يحيط بها... لذلك يتَّجه في هذه المرحلة إلى أن يحقِّق القوَّة في الانتساب إلى فِرق الكشفيّة والفُتوَّة والأندية الرياضيّة، ويعشق البطولة ومَن يمثّلها من الرجال والأبطال والرياضيِّين، والزعماء والقادة والحكّام والملوك، إنّها المرحلة التي تغلب على صاحبها فيها العناية بالجسم أكثر من العناية بالعقل والفكر، فإذا بلغ المرحلة الثالثة، أصبح رجلًا، شبع من الشباب وفورته، وغلّب النزعة العقلية وتطلَّع إلى الحياة بجميع جوانبها وحاجاتها الفكرية والنفسية والروحيّة، وما تقتضيه، إنها المرحلة التي يبلغ فيها تمامه، وتجتمع فيها قواه الجسمية والعقلية.

وهكذا تتلخّص المراحل الثلاث، بأن الأولى تكون منذ الخَلق إلى الولادة حتى بلوغ الحُلُم. فإذا بلغ الحلم تجاوز الطفولة ودخل مرحلة الشباب التي تستمر ويبدأ يشتدّ عوده، حتى يبلغ أشُدَّه ويكتمل جسمًا

وعقلًا، فيصبح شيخًا في نحو الأربعين من عمره، إنسانًا ناضجًا مكتمل الرجولة. وقد صوّر القرآن تلك المراحل الثلاث، وأشار إليها أو عبّر عنها، فقال تعالى عن المرحلة الأولى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

وأشار إلى انتهاء المرحلة الأولى، مرحلة الطفولة، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. والطفل يبقى موصوفًا باليتيم حتى يبلغ الحلم، وبلوغ الحلم يعني انتهاء عهد الطفولة. روى الزَّبيدي في التاج عن الأزهري قال: «بلغ أشدّه في قصّة يوسف، معناه الإدراك والبلوغ، وكذلك هو في مال اليتيم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ يعني أن يُؤنَسَ منه الرُّشد بعد البلوغ».

واليُتْم في اللغة الانفراد، واليتيم من البشر مَن فقد أباه، وهو دون البلوغ، فإذا بلغ لم يَعد يوصف باليُتم. قال الليث: هو يتيم ما لم يبلغ الحلم، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم[1].

وكذلك يبدو تحديد مرحلة الطفولة واضحًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [النور: ٥٩]. أي أن بلوغ الحلم يخرج الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة جديدة. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

---

(١) تاج العروس (يتم).

طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ [الحج: ٥]. ورتّب المراحل الثلاث في آية أخرى فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ﴾ [غافر: ٦٧]. وبلوغ الأشدّ، قيل: مبلغ الرجال الحنكة والمعرفة، وقيل هو الإدراك والبلوغ، أو أن يؤنس منه الرشد. ومنتهاه أن يبلغ صاحبه الأربعين[(١)].

وتبيانًا لبلوغ الأشُدّ وتوضيحًا لمرحلته قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وجاءت في تاج العروس أقوال في بلوغ الأشُدّ منها: «أما في قصّة موسى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص: ١٤] فإنه قرن الأشدّ بالاستواء، وهو أن يجتمع أمره وقوّته ويكتهل وينتهي شبابه» وجاء «وأما قوله في الأحقاف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾. فهو أقصى نهاية بلوغ الأشدّ. وعند تمامها بعث محمد ﷺ، وقد اجتمعت حنكته وتمام عقله»[(٢)].

وأوضح من ذلك ما تشير إليه آية الأحقاف من التفات مَن بلغ مبلغَ الرجال المكتملين في المرحلة الثالثة إلى الدّعاء، وإلى شكر النعمة، وإلى الاستعانة على القيام بالعمل الصالح، وطلب صلاح الذريّة، والتوبة من شوائب ما مضى من العمر... أي من حياة الشبّان ورغباتهم إلى حياة الرجال وضراعتهم إلى الله سبحانه شاكرين مستعينين تائبين.

والناس هم البشر، وهي كلمة شاملة للأطفال، وللفِتيان والشبَّان،

---

(١) تاج العروس: (شدد).

(٢) تاج العروس: (شدد).

وللرجال والشيوخ، ولكل مرحلةٍ من مراحل العمر، من أوّلها إلى نهايتها.

وقد رأينا أن الإنسان في مرحلته الأولى يحتاج إلى رعاية وحفظٍ وصَون وتغذية وتنميةٍ وتربية، وذلك منذ كونه علقةً في قرارٍ مكين، وفي الظلمات الثلاث، وفي سنّ الرّضاعة... إنه في تلك المرحلة في أشدّ الحاجة إلى المربِّي القادر على العناية، وإلى القيِّم الذي يرعاه جنينًا ورضيعًا، ويمُدّه وهو طفل بكل أسباب الحياة ونمائها، وذلك هو ما يقوم به (الربُّ) المربّي، يقال: ربَّ الشّيءَ، وربّاه، أي: أصلحه، وقام على أمره، ونشّأه، وغذّاه، ورعاه، وعلّمه، والربُّ: مالك الشيء، وسيّده، ومربِّيه، ومُتمِّمه، والقيِّم عليه، والمدبِّر لأمره وشؤونه، والمُنعم عليه[1]. وإذا كان ذلك كلّه من عمل (الربّ) وكان (الربّ) هو الذي ينشئ ويغذّي ويُنمّي ويُمدّ مربوبه بكلّ ما تحتاج إليه حياته واستمراره، فإنَّ أشدّ المخلوقات حاجةً إليه هم الأطفال منذ يكون أحدهم علقة إلى أن يتجاوز مرحلة الطفولة، وأولئك هم (الناس) الذي يحتاجون إلى (ربّ الناس).

ولمّا كان عمل الربّ هو ما ذكرنا من تربيةٍ وتنمية مستمرّة وإمدادٍ بكلّ وسائل الحياة، وضمان استمرارها واستمرارِ المَربوب أو المربِّي في عمله، جاء ما يناسبه من مضاف إليه في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]،

---

(١) في التاج (رب): أن الربَّ يطلق في اللغة على المالك، والسيّد، والمدبِّر والمربِّي، والمتمِّم. وعند اللحياني: ربَّ المعروفَ والصنيعةَ والنِّعمة يَربُّها ربًّا وربابًا ورِبابة: نمّاها وزادها وأَتمَّها وأصلحها.

وقال ابن الأنباري: الربّ ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الربّ المالك، ويكون الربّ السيّد المطاع، ويكون الربّ المصلح. وربَّ الصبيَّ يَربُّه ربًّا، وربّاه أي: أحسن القيام عليه، ووليه حتى أدرك، أي حتى فارق الطفوليّة، كان ابنه أو لم يكن.

ولم يقل: مَلِك العالمين، ولا غيرها؛ لأنّ العالمين جمع عالَم - بفتح اللام - وهو كلّ ما سوى الله. أي ليس في الوجود إلا خالق ومخلوق، والخالق واحد أحدٌ هو الله، والمخلوق كلّ ما سواه من إنسان وحيوان ونبات وجماد. وكل هذه الكائنات المخلوقة في حاجة إلى (ربٍّ) يقوم على تربيتها وإمدادها بكلّ ما يجعل حياتها دائمة، وعملَها في الحياة مستمرًّا. فالأرض ودورانها، والليل والنهار وتعاقبهما، والنجوم والكواكب والمجرّات وحركاتها، والنبات ونماؤه، والمياه وتوزّعها... وكل ما في الكون يحتاج إلى قيّم يقوم عليه ويرعاه رعاية مستمرّة كافلة وشاملة، ولا يقوم بذلك إلّا (الربّ) فكان هو الاسم الملائم لإضافة (العالمين) إليه.

وأما الفتيان والشبّان، محبّو القوّة والسيطرة والعظَمة، فهم الناس الذين يحتاجون إلى مالكٍ قويٍّ قادر على التصرّف، ملكٍ مستوثق مما يملك حاكمٍ عليه، لا يخرج شيءٌ عن ملكه، ولا يشاركه أحد فيما يملك. إنّ كلمة (مَلِك) حين ترد في القرآن أو تُذكر فيه، تتصاغر أمامها مرادفاتها أينما ذُكرت في غير القرآن، وأينما وردت وصفًا لأحدٍ في الدنيا، فهو سبحانه - كما وصف نفسه - ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]. وهو: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] وهو ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] هو «مَلِك الناس، كلِّ الناس، وله مُلك السموات والأرض، وهو الذي ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] بل ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وكلُّ مُلكٍ زائل إلّا ملكه، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وقد بُدئ القرآن بـ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] في فاتحته، وانتهى بـ﴿مَلِكِ

﴿ ٱلنَّاسِ ﴾. في آخر سُورة، وإلى هذه القوّة والقدرة يتطلّع الناس الذين هم الفتيان والشبّان وعشّاق القوّة والسّطوة، وإنهم (الناس) الذين يحتاجون إلى من تتمثّل فيه كلّ الصفات، وهو ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾، بل هو سبحانه ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وفي اللغة المُلك كلُّ ما يُملك، والإنسان يميل بفطرته إلى الملك والتملّك حتى يصبح ذلك عادة متأصّلة عنده، يخاصم ويقاتل من أجله، وتقوم الحروب للحصول على الملك أو للمحافظة عليه، لذلك يأتي كلام الله تعالى بعد أن يقول للناس إنه «ربُّهم» الذي ربّاهم، وقام على رعايتهم وإنشائهم حتى وصلوا إلى وعي الملك وحبّ التملّك، ليقول لهم إن المُلْك له! وإنّه المَلِكُ الحقّ، وإنه يملك كلَّ شيء، وبيده مَلكوت كلِّ شيءٍ، وإنه هو الذي يوزّع مرتبة الملوكيّة على من يشاء من عباده، وينزعها عمّن يشاء، فهو سبحانه ربّ الأرباب، وملك الملوك.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[آل عمران: ٢٦]. فلا تشغلْ نفسك أيها الإنسان بطلب المُلك، فالملك بيده يعطيه من يشاء من عباده، وينزعه منه متى يشاء، هو سبحانه المعطي وهو المانع، وهو المعزُّ وهو المُذلّ.

فإذا انقضت سنوات الإعجاب بالقوّة وبالمُلك وما يُمثّله، حمل الإنسانَ عمرُه إلى مرحلةٍ جديدة تستولي فيها على النفس سِماتُ الحكمة والتفكير، فيروح يسأل عن النهاية والمآب، وعن الكون والحياة، إنه الآن في مرحلة الرجولة والاكتمال، ومرحلة اشتغال العقل بالسؤال عن الحياة والنهاية والمآل، إنه في شوق إلى ما يملأ القلب راحةً وأمنا وأمانًا واطمئنانًا، إنه بلغ المرحلة التي يحتاج فيها إلى قوّة يركن إليها. ويطمئن بذكرها قلبه،

إنه في حاجة إلى إلّه فردٍ أحدٍ صَمَد، يؤمن به، ويُسلِّم له، ويتوكّل عليه. إنه الشوق الفكري والقلبي والروحيّ، المتطلّع إلى الكون وما فيه، والمتفكِّر فيمن أبدع وأوجد، والسائل عن الموت وما بعده، وكانت آيات الكتاب العزيز تعلن مُعلِمةً أن لهذا الكون موجدًا، وأن له نظامًا في ليله ونهاره، وشمسه وقمره، وضوئه وظُلمته، وأن كلَّ شيءٍ بحساب، وكل شيءٍ بقدَر وبوزن، وأنه لا تضبطه مصادفة، ولا يمكن أن يحكمه اثنان ولا أكثر، بل لا بدّ من خالقٍ واحدٍ فرد صمدٍ لا صاحبة له ولا ولد، ولا شريك له ولا مثيل.

إنهم في هذه المرحلة يحتاجون إلى (إلّه) يأنسون به، ويلجؤون إليه، ومَن إلّهٌ يكون لهم إلّا الله؟ إنه ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾.

وهكذا قامت الصلة بين المضاف والمضاف إليه في «ربّ الناس» و«ملك الناس» و«إلّه الناس» مقام الدلالة على طبقات الناس وشرائحهم في أطوار حياتهم المتعاقبة من طفولةٍ إلى شبابٍ إلى رجولة وكهولة، وهي أطوار كأطوار الخَلق، أشار إليها ربّنا سبحانه بقوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ – ١٤]، إنها أطوار شبيهة بأطوار الخَلق الأول ذي الظلمات الثلاث. ونلاحظ أنه خصّ كلّ طور بما يحتاج إليه احتياجًا خاصًّا من «ربٍّ» أو «مَلِك» أو «إلّه»، وجعل ترتيب هذه في الذكر ترتيبَ تلك المراحل في الحياة.

ثم نقف عند (الناس) في المرحلة الثالثة والأخيرة، فنجد أنهم صنفان مختلفان، وأن لكلِّ صنفٍ منهم طريقه؛ فمنهم من يسير في طريق الهدى والإيمان، ومنهم من يسير في طريق الغواية والضلال، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

نجدَ الهدى والطاعة، يسير فيه عباد الرحمن الصالحون والأتقياء، وهم الذين

سمعوا قول ربِّهم وتدبَّروه: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦]. وهم الذين جعلهم الشيطان هدفًا لغوايته، يلاحقهم ويوسوس في صدورهم، كما وسوس لسيّدنا وأبينا آدم وأمِّنا حوَّاء، وحكى ذلك ربّنا جلّ جلاله فقال: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠].

إنهم الطبقة الصالحة من (الناس) الذين يطاردهم الشيطان ليوسوس في صدورهم، وليصدّهم عن الطاعة. وأما الصنف الثاني من (الناس) فهم الذين اختاروا النجد الآخر، وساروا في طريق الغواية والضلال، وهم أتباع الشيطان وجنوده؛ لأنَّ كلًّا منهم شيطان يريد إغواء أصدقائه من الناس ليكونوا أمثاله! وهي عادة أكثر الناس، يريد الضالّ أو الفاسد أو العاصي منهم أن يكون رفيقُه مثلَه، حتى لا يتعالى أو يستشرف عليه باسم الشرف أو الفضيلة، إنّهم شياطين الإنس وهم كالجِنّة، لذلك قرنهم ربّنا بهم فقال في آخر سورة الناس عن الذين يوسوسون في صدور (الناس) إنهم: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾.

فالذين يوسوس الشيطان في صدورهم هم أتقياء الناس، وهم الذين اتخذهم الشيطان أعداءً له، والذين يوسوسون في صدور الناس هم الشياطين الذين نستعيذ منهم، سواء أكانوا من الجنّة أو الناس.

وقد جاءت (مِن) في قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ بيانيَّةً، تبيّن أن الذي يوسوس يكون من الجِنَّة ويكون من النّاس، ونحن غالبًا ما نحذّر من وسوسة الشيطان، ونغفل عن وسوسة أمثالنا من البشر الذين هم كأولئك الشياطين خطرًا وإفسادًا، فكم أفسد واحد من الشبان رفاقه؟ وكم أفسدت طالبة زميلتها؟ لذلك كان التحذير ممَّن تصاحبه من الناس واجبًا كالتحذير من الوسواس الخنّاس من الجنّ.

وهكذا تكررت كلمة (الناس) في هذه السورة خمس مرّات، وكانت في كلّ مرّة تدلّ على جديد، أو على طبقة معيَّنة أو مرحلة عُمريّة محدَّدة من (الناس).

ومن الجدير بالذكر ما نلاحظه من صلة بين المضاف والمضاف إليه في مثل (ربّ الناس، وملك النّاس، وإلّه النّاس)؛ لأنه إذا كان المضاف إليه يعرّف المضاف كما يفصّل في الحديث عن ذلك علماء المعاني، فإن المضاف أيضًا يلقي بظلال معناه على المضاف إليه ويخصِّصه؛ إنَّ في (ربِّ النّاس) وأمثالها تعريفًا للناس بكلمةٍ (ربِّ) وتمييزًا لها من (ربِّ البيت أو ربّ العمل)، كما أن في كلمة (ربّ) تخصيصًا للناس الذين لهم ربّ، هو سبحانه ربّ لكلِّ النّاس، وملك لكل الناس، ولكن كونه ربًّا يدلّ على قسمٍ من الناس، وكونه ملكًا يدلّ على قسم آخر... وهكذا في الإضافة هنا تعريف للمضاف بالمضافِ إليه وتخصيص للمضاف إليه في المضاف وكذلك لو قلنا: كلية الآداب، وكتاب الآداب، وفنون الآداب، ومنهاج الآداب، لدلّ المضاف على شيء مخصوص مما تشمله وتدلّ عليه كلمة الآداب إذا أطلقت مجرّدة من الإضافة. وهكذا كانت كلمات (ربّ وملك وإلّه) التي أضيفت إليها كلمة (الناس) مبيِّنة للصلة الخاصّة للناس في كل إضافة بالمضاف إليه.

ونضيف إلى ما سبق الملاحظات الآتية:

١- وردت كلمات (ربّ) و(مَلِك) و(إلّه) في هذه السورة متتابعة بترتيب معيَّن، فكلمة (ربّ) تدلّ كما رأينا على المربِّي أو المتمِّم والقيِّم والمدبر، فكيف إذا كان (الربّ) هو (الملك) المالك والقاهر والمهيمن؟ ثم كيف إذا كان (الملك) هو (الإلّه) الصمد

المعبود؟ وكأن كل اسم من هذه الأسماء الثلاثة المتعاقبة كان أشمل لما قبله في الدلالة وأوضح في القصد.

٢- ثم إن هذه الأسماء الثلاثة تعاقبت من دون حرف من حروف العطف، وفي ذلك أولًا إشارة إلى أنها أسماء لمسمًّى واحد - جلّ جلاله - والشيء لا يعطف على نفسه. وفيه ثانيًا أنها جاءت على طريقة عطف البيان، وهو الذي يكون المعطوف فيه (أبين) من المعطوف عليه كما رأينا في تبيين (الإلّه) لـ(الملك) وزيادته عليها معنًى وإيضاحًا، وفي تبيين (الملك) لـ(الربّ) وزيادته عليه أيضًا في المعنى والبيان.

٣- زد على ذلك أن الأسماء الثلاثة أضيف إليها اسم ظاهر واحد هو الناس... ربّ الناس، ملك الناس، إلّه الناس، ولم يُستغن عن الاسم الظاهر عند تكراره بضميره، فلم يقلّ «ربّ الناس وملكهم وإلّههم»، وذلك لأن عطف البيان، كما يدلّ عليه اسمه، يقتضي البيان، والبيان يقتضي الظاهر البيّن لا الكناية أو الضمير.

وسبحان من علّم القرآن، وأنزله بلسان عربيٍّ لا يُطاق مثله، وخلق الإنسان، علّمه البيان.

والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

فهرس الكلمات

أبعت ٦٧
أحفر ٧٠
الاختصاص ٦١ و٦٢
أخطأ ٣٨
الإرهاب ٣٠
أرهب ٢٩
الازدواج ٤٣
استمتع ١٧
أسقاه ٦٤ و٦٦ و٦٨
أقبره ٧٠
الإقساط ٣٤
أقسط ٣٤
الإكتاب ٧١
أكتبه ٧٠
الإكراه ٤٠
ألت ١٧
بخع ١٨
بعْد ٥٧
تمتّع ١٧
التملّك ٨٨
تَمور ٦٤
تُمور ٦٤
التوقيت ٥٧
ثقُف ٤١
ثقِف ٤١
ثقّف ٤١
الجيوب ٨٥
حفر ٧٠
الخاتَم ٧٣ و٧٤
ختم ٧٣
خرص ١٧
الخِطء ٣٨
الخَطَأ ٣٨
خطئ ٣٨
الخطيئة ٣٨
الخلاق ١٧
الخمر ٨٤
راغ ١٧
ران ١٧
رجع ٣٩
الرَّجع ٣٩
الرشد ٤٩
رهب ٢٩
زوج ٤٣
سارع ٩٠-٩٢
السامَة ٤٤
سعى ٩٠-٩٢
سقاه ٦٤ و٦٦ و٦٨
سمد ١٧
ضَرّ ٤٧ و٤٨ و٤٩
ضُرّ ٤٧ و٤٨ و٤٩
ضرب ٨٠ و٨١
العالمين ٩٨
العرب ٩٧ و١٠٢
عزّ ١٧
العَضْل ١٨
عند ٥٧

الغداة ٤٦
الغدايا ٤٦ و٤٧
الغلط ٣٨
فر ٩٠-٩٢
فزع ٧٩ و٨٠
فُعَلة ٣٧
فُعْلة ٣٧
الفلق ١٨
قبره ٧٠
القَرّ ٤٦
قسط ٣٤
القسط ٣٤
القسوط ٣٤
الكَره ٤٠
الكُره ٤٠
كند ١٨
لام التوقيت ٥٨ و٦٣
اللُّعَنة ٣٧
اللّمّاز ٣٧
اللَّمز ٣٧
اللُّمزة ٣٧
مأزورات ٤٧
متعة ١٧
المحاذاة ٤٣
مرأني ٤٧
المزاوجة ٤٣ و٤٥
المشابهة ٤٣
المشاكلة ٤٣ و٤٥
مشى ٩٠-٩٢
المُكتِب ٧١
المماثلة ٤٣
الموازنة ٤٥
موزورات ٤٧
الناس ٩٦-١٠٢
نشزت ٧٦
نظر ١٨
النظرة ١٩
الهامز ٣٧
الهجر ٧٦
الهُزأة ٣٧
الهمّاز ٣٧
الهمز ٣٧
وجل ٣٥
الوجل ٣٥
وقب ١٨
اليتم ٩٥
اليتيم ٩٥
يضربن ٨٢ و٨٤

* * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
- أدب الكاتب لابن قتيبة. تح: د. محمد الدالي. بيروت ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.
- الأزهية في علم الحروف للهروي. تح: عبد المعين الملوحي. دمشق ١٣٩٧هـ=١٩٧١م.
- إصلاح المنطق لابن السكّيت. تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف - مصر ١٩٤٩م.
- البحر المحيط لأبي حيّان.
- تاج العروس للزَّبيدي.
- التحرير والتنوير لابن عاشور، المجمع الثقافي - أبو ظبي.
- تفسير الكشاف للزمخشري. دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢ ٢٠٠٢.
- تهذيب الإيضاح للقزويني. تح: عز الدين التنوخي، الجامعة السورية ١٣٦٧هـ=١٩٤١م.
- ثلاثة كتب في الحروف. الخليل بن أحمد وابن السكّيت والرازي. تح: د. رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض. ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

- الجدول في إعراب القرآن. محمود صافي. دار الرشيد. دمشق. ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي. تح: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. حلب ١٩٧٣م.
- الحروف للمزني. تح: محمود حسني محمود ود. محمد حسن عوّاد. دار الفرقان - عمّان. ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- الخصائص لابن جني. تح: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٢م.
- الدّرّ المصون للسمين الحلبي.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي. تح: أحمد الخرّاط. مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.
- روح المعاني للألوسي.
- شرح الكافية للاستراباذي. دار الكتب العلمية - بيروت.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس. المكتبة السلفية - القاهرة. ١٣٢٨هـ=١٩١٠م.
- الصحاح للجوهري.
- ضوء الجمان للسيوطي شرح المرشدي، تحقيق: د. عيسى علي العاكوب، دار التقوى - دمشق ١٤٢٨هـ=٢٠١٧م.
- الفروق في اللغة للعسكري. منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
- الفهرست لابن النديم. ط مصر سنة ١٣٤٨هـ.

- القاموس المحيط للفيروزآبادي.
- كتاب حروف المعاني للزجَّاجي. تح: د. علي توفيق الحمد. مؤسسة الرسالة ودار الأمل. عمّان ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- كتاب فعلت وأفعلت للزجاج. تح: ماجد حسن الذهبي. الشركة المتحدة - بيروت ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب.
- اللّامات للزجاجي. تح: د. مازن المبارك. ط٢. دار الفكر - دمشق ١٤٠٥هـ=١٩٨٥.
- اللّامات لابن فارس. تح: د. شاكر الفحام. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. م/ ٤٨ ج/ ٤ ص/ ٧٥٧.
- لسان العرب لابن منظور.
- مختار الصحاح للرّازي.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي. تح: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. ط٣. دار إحياء الكتب العربية.
- المغني عن كتب الأعاريب لابن هشام. تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. مراجعة: سعيد الأفغاني. دار الفكر - دمشق ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م.
- المفصَّل في علوم البلاغة. د. عيسى علي العاكوب. دار القلم - دبي ١٩٩٦م.

* * *

المحتوى

المقدمة ٧

نشر الفصيح وإحياؤه أم تفصيح العامّي........................ ١٥

فك ارتباط المسلمين بالإسلام.............................. ٢١

قسط وأقسط.. ٣٣

وجل وخاف.. ٣٥

الهمز واللمز.. ٣٧

الغلط والخطأ وخطئ وأخطأ.............................. ٣٨

رجع رجوعًا ورجع رجعًا.................................. ٣٩

الكُره والكَره والإكراه.................................. ٤٠

ثقف.. ٤١

المزاوجة، المشاكلة، الموافقة، المماثلة، المحاذاة.................. ٤٢

القُرّ والقَرّ.. ٤٦

الضُّرّ والضَّرّ.. ٤٧

لام التوقيت.. ٥٠

همزة التمكين (سقى وأسقى، قبر وأقبر) ٦٤

خاتَم وخاتِم.. ٧٢

مع تفسير «واضربوهن» ٧٦

تفسير «وليضربن بخمرهن على جيوبهن» ٨٤

الصلة بين صورة الحرف ومعناه........................ ٨٦
تفسير «لا تخرجوهن من بيوتهن» ٨٨
مشي وسعى وسارع وفرّ في القرآن ٩٠
وقفة لغوية مع سورة الناس........................ ٩٣
فهرس الكلمات........................ ١٠٥
المصادر والمراجع........................ ١٠٧
المحتوى........................ ١١١

* * *

تنضيد وإخراج

عمّار البخاري